الدكتور محمد الصغير غانم
أستاذ التعليم العالي
بجامعة منتوري قسنطينة

الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا



دار الهدى
للطباعة والنشر والتوزيع

الدكتور: محمد الصغير غانم
أستاذ التعليم العالي
بجامعة منتوري
قسنطينة

الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا



دار الهدى
للطباعة والنشر والتوزيع

الرقم التسلسلي 1409 - 2005 دار الهدى

رقم الإيداع القانوني 3306 - 2005 المكتبة الوطنية

ردمك 5 - 682 - 60 - 9961



المنطقة الصناعية ص ب 193 عين مليلة – الجزائر

الهاتـف: 47 95 44 032 / 00 92 44 032

الفاكس: 18 94 44 032

www.elhouda.com   darelhouda@yahoo.fr

الفروع

عين مليلة
الحي البلدي
الهاتـف: 57 83 44 032
الفاكس: 67 92 44 032

الجزائـر
01 شارع أوراس بشير باب الواد
الهاتـف: 20 62 96 021
الفاكس: 11 61 96 021

قسنطينة
حي كوحيل لخضر جنان الزيتون
الهاتـف: 08 22 92 031
الفاكس: 08 27 92 032

وهـران
05 شارع زيغود يوسف عمارة الحرية
الهاتـف: 47 46 40 041
89 46 40 041
الفاكس: 54 56 41 041



إهداء

إلى المجاهدين الذين قاوموا ببسالة ثم استشهدوا بعزّة وكرامة من أجل الجزائر في معركة "تغاصرة" (1955) بجبل القرون (الأوراس)- ضدّ المغتصب الفرنسي، أهدي هذا العمل العلمي الذي سيبقى يحمل ذكراهم الخالدة ليوصلها للأجيال المتوالية على أديم هذه الأرض المعطّاة التي ليس لنا مكانا في هذا الكون نقف فيه تحت الشمس سواه

﴿مقدمـة الكتـاب﴾

لم تكن بلاد المغرب القديم منذ فترتها الباكرة منطقة منعزلة متقوقعة على نفسها، بل كانت منذ فترة ما قبل التاريخ الإنساني تأخذ وتعطي، وهكذا نراها تلتقي مع جوارها الجغرافي (مصر) منذ العصر الحجري القديم الأوسط، حيث عثر في شمال "أسوان" بالصعيد المصري على رؤوس السهام العاترية التي تشتهر بتزويدها بعقب أو ذنب في قاعدتها، حتى أنها عرفت لدى الباحثين بالسهام المذنبة وهي مصنوعة من حجر الصوان.

ويرشح الباحثون الأثريون لما قبل التاريخ أن انتشار العاترية نحو مصر يصادف حوالي (45.000) سنة ق.م، وفي تلك الفترة بدأت اللقاءات بين البشرية المتمثلة في النياندرتاليين الذين انطلقوا من منطقة الشرق القديم إلى كلّ من أوروبا وشمال إفريقيا (إنسان "هوافتيح" بليبيا كمثال على ذلك)، وإلى ذلك العصر أيضا تعود الكويرات الحجرية التي عثر عليها في وسط موقع القطار "بتونس" التي اعتقد علماء ما قبل التاريخ أنها تمثل مزارة يشهد وجودها على إلتفات الإنسان إلى الجانب المعنوي بعد أن بدأ يطمئن على عيشه الذي كان لا يزيد على الجمع والإلتقاط والصيد، ومع ذلك فإن الجانب المعنوي فيه بدأ ينازعه ويدفعه إلى طرح عدة أسئلة حول السرّ الذي يختبئ وراء وجوده في هذا الكون.

هل خلق الإنسان فقط للأكل والشرب وتلبية ممارسة غرائزه؟ أم أن هناك سراّ غامضا لا يزال لم يتوصل بعد إلى فك ألغازه؟ ما السّر أيضا في وجود تلك الحيوانات الضخمة التي كانت تعكّر صفو حياته يوميا؟ ثم ما هي كيفية التغلب عليها؟... ما السرّ أيضا في وجود تلك الكواكب مثل: الشمس، والقمر التي تنير طريقه وتبعث في الكون الدفء والحياة؟ هل بالإمكان التقرّب منها واكتشاف سرّ ظهورها واختفائها؟.إلى غير ذلك من الأسئلة الغامضة التي كانت تساور الإنسان البدائي آنذاك.

إلاّ أنّه وبتقدم الزمن بدأت الأشياء عند الإنسان تتضح شيئا فشيئا،وهكذا نراه خلال الفترة الموالية، يبدأ في الاعتقاد إلى أنّ الكون يتقاسمه الخير والشر وكلّما إقترب من الخير سعدت أيّامه وأحس بالانتصارات، وكلّما إقترب من الشر انتابته الآلام والأحزان، وذلك ما أطلق عليه المؤرخون الذين درسوا الموضوع فيما بعد ببداية بذور الفكر الديني الذي كانت منطلقاته الأولى لا تزيد عن سديم غامض في ذهن الإنسان أدى به إلى ممارسة الطقوس السحرية اعتقادا منه بأن ذلك سيوصله إلى ما يصبو إليه في هذا الوجود وبالتالي يجلب له النفعية المادية والمعنوية التي بات يعتقد أنه يعيش من أجلها.

وقد تطورت النفعية المادية والمعنوية المشار إليهما باحتكاك إنسان المغرب القديم بجواره الجغرافي وتدّرجه في الزمن.

وما إن بدأت الفترة التاريخية في الشرق القديم وبلاد المغرب حتى نرى الإنسان المغاربي القديم يتصل بمصر القديمة، ويتأثر ببعض معبوداتها ونفس الشيء يمارسه مع المعبودات الفينيقية —القرطاجية والإغريقية والمحلية (اللوبية) منذ نهاية الألف الثانية ق.م، ثم امتدت ذهنيته الفكرية فيما بعد إلى الآلهة الرومانية، وذلك حتى بداية ديانة التوحيد في شمال إفريقيا.

لقد ارتأينا أن نفرد هذه الدراسة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا اعتمادا على تطور الذهنية البشرية التي كانت سائدة حينذاك سواء المحلية منها أو الواردة إلى شمال إفريقيا.

– الصعوبات والعـــوائق:

يلاحظ المتتبع لملامح الفكر الديني المغربي القديم، أن هناك صعوبات تكمن في استخلاص الشواهد الدينية من المصادر المادية كالنقوش والآثار المتوافرة في المنطقة، ذلك لأن عدم فك رموز النقوش (اللوبية) وقراءة نصوصها ثم عدم توافر الأساطير والنصوص المكتوبة مثل ملاحم "قلقامش" وبدأ الخليقة السومرية والطوفان في بلاد ما بين النهرين تجعل مهمة الدارس صعبة للغاية إن لم تعقه في كثير من الأحيان عن تلمس الطريق الصحيح[1].

---

(1) رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا ج1. دار مكتبة الجامعة العربية. بيروت 1968. ص.222. طه باقر، ملحمة كلكامش. مطبعة وزارة الثقافة والإعلام. العراق 1975، ص. 29 ومايليها.

وهنا لابد أن نتساءل؛ هل للبيئة الطبيعية دخل في ذلك؟ وهل للتقلبات المناخية هي الأخرى دورها في الموضوع؟

للإجابة عن التساؤلين السابقين يمكننا أن نشير إلى أن لكل من البيئة الطبيعية والمناخ دورهما الفعال في إعاقة الذهنية البشرية على ترك تواصل بصماتها المعنوية ماثلة للعيان عبر العصور. ووفقا لذلك، فإن اختلاف البيئة الطبيعية في بلاد المغرب القديم ما بين الجبل والسهل والتل والصحراء وصعوبة التنقل فيما بينها عدا عن طريق الممرات السهلية والوديان- كان قد أعاق في بعض الأحيان تنقل الأشخاص والأفكار وبالتالي ساعد على التقوقع والتمسك بطابع المحلية[1].

وبالعكس من ذلك، فإن اختلاف المناخ مابين الرطوبة والجفاف في المنطقة المغاربية، لاسيما عبر عصورها القديمة كان قد تسبب في هجرات متوالية اتجهت في غالبيتها من الجنوب نحو الشمال ومن الشرق نحو الغرب. ومع ذلك المد والجزر من الهجرات المشار إليها آنفا استطاعت ملامح بذور الفكر الديني المحلية والمهاجرة أن تتبلور وتتعايش دون انسجام أو تتلاحم فيما بينها وذلك حتى مجيء الرسالة المحمدية التي وجهت الفكر الديني نحو عبادة الإله الواحد القهار وأضفت عليه صبغة عقيدة التوحيد تحت لواء الإسلام[2].

ولن أكون متعصبا إذا ما قلت بأنه لا اليهودية ولا النصرانية كانا باستطاعتهما القضاء على الوثنية وتوحيد سكان شمال إفريقيا مثل ما فعل الإسلام الذي ألغى الفروق بين أمازيغه وعربه الفاتحين وجمع كلمتهما على قول "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، "الماء والهواء والوطن للجميع"[3].

---

(1) - Gsell (St) ,Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, OTTO zeller 1972 P.28 ; F. Décret et M. Fantar, l'Afrique du Nord vorlag, oskabrük, 1972, dans l'Antiquité éd. Payot, Paris 1981, PP. 9- 14.

(2) - Gsell (St.), op. cit., T. VI, P. 280.

(3) لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1979، ص. 48.

هذا فيما يخص العائق الأول.

أما الصعوبة الثانية التي واجهت الفكر الديني في بلاد المغرب القديم في بدايته فتتمثل في توالي حلقات التأثير المرتبطة بالنفوذ الأجنبي المعنوي والمادي سواء أكان ذلك في شكله السلمي الذي يمثله الفينيقيون وأحفادهم القرطاجيين وكذا الإغريق، أو تعسفي ويتمثل في الاستعمار الروماني والوندالي والبيزنطي[1].

وبدوره يتمثل العائق الثالث الذي صادف الفكر الديني المغربي القديم في أحادية القطب الذي عملت على ترسيخه المدرسة الكولونيالية في بلاد المغرب القديم أثناء القرنين التاسع عشر وبداية العشرين وذلك بتوجيهها للدراسة والبحث نحو التركيز على الفترة الرومانية الإغريقية وإهمال الحقب السابقة واللاحقة لها اعتقادا من أصحابها بأن الرومنة هي امتداد للفرنسة في عمق التاريخ المغاربي[2].

وتكمن الصعوبة الرابعة في انطلاق المؤرخين الإغريق والرومان في تفسيرهم للديانة المغاربية انطلاقا من خلفياتهم الحضارية التي تختلف تماما عن واقع المجتمع المغاربي الذي كانت تغذيه روح التعامل المباشر مع الظواهر الطبيعية وبداية الخوف من المجهول الذي تمثلوه في كل قوة كانت تصادفهم في حياتهم اليومية فالتجأوا للسحر وطلقوا العنان لخيالهم يصور لهم آلهة تلبي رغباتهم وتجلب لهم الاطمئنان الذي تمثلوه وبحثوا عنه في كل شيء يظهر في محيطهم[3].

---

(1) غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية والحضارة البونية، مطبعة دار الأمة، الجزائر 1998، ص.ص.5- 39.

(2) المرجع السابق ص. 9-10.

(3) - Picard (G. Ch.), les religions de l'Afrique Antique librairie Plon Paris 1954 P. 4.

الباب الأول

ملامح الطقوس الدينية والمعبودات ذات النشأة المحلية

الفصل الأول: أصول بذور الفكر الديني

1. الأصل المحلي.
2. طقوس استدرار المطر.
3. عبادة المياه.
4. عبادة الشمس والقمر.
5. عبادة الكهوف.

الفصل الثاني: عبادة البشر والقمر

1. عبادة الملوك.
2. عبادة الأموات
3. الطقوس الجنائزية.
4. وضعيات الدفن.
5. طقوس طلاء الجثث بالمغرة.

الفصل الثالث: العبادة الطموطية

1. عبادة الكبش.
2. عبادة الثور.
3. عبادة القردة.
4. عبادة الأسد.
5. عبادة الثعبان.

الفصل الرابع: عبادة قوى الطبيعة

1. عبادة الحجارة.
2. عبادة الجبال.
3. عبادة الأشجار والنبات

الفصل الأول

أصول بذور الفكر الديني

1. الأصل المحلي.
2. طقوس استدرار المطر.
3. عبادة المياه.
4. عبادة الشمس والقمر.
5. عبادة الكهوف.

- أصول بذور الفكــــر الديـــني:

بناء عــــلى ما أشــــرت إليه آنفا واعتمادا على القـــراءة المتأنية لــــما كتب حول بذور الفكر الديني في بلاد المغرب القديم يخرج الدارس بعدة ملاحظات هامة تتضافر فيما بينها لتكون اللبنات الأولى لظهور الفكر الديني في المنطقة المغاربية. ويمكن أن تتمحور تلك الملاحظات في أربعة عناصر متكاملة فيما بينها محلية وخارجية يتصدرها الأصل المحلي، ثم التأثيرات المصرية وكذا الامتزاج السامي الكنعاني اللوبي خلال الفترة الـــبونية[1]، إضافة إلى تأثيرات الديانة الوثنية الإغريقية - الرومانية[2].

1- الأصـــل المحـــــلي:

قد لا يستبعد أن تعود الأصول الباكرة للديانة المحلية المغاربية إلى العصر الحجري القديم الأوسط حيث عثر في وسط موقع القطار (EL - Gatter) الواقع شرقي قفصة بتونس على كويرات حجرية شذبت بطريقة معينة تتوسط الموقع الأثري. يمكن أن تكون قد أعدت للعبادة أو على الأقل يتقرب بواسطتها للآلهة. وهي تعاصر الحضارتين الموستيرية والعاترية في شمال إفريقيا[3]. ويعتبر موقع القطار المشار إليه من بين المواقع الأولى في شمال إفريقيا التي يمكن أن نتلمس فيه بداية الاعتناء بالجانب المعنوي لدى الإنسان المغاربي القديم الذي مارس عبادته فيما بعد، لاسيما بعد أن أصبح يدرك بأن العالم المحيط به مليء بالأشرار ولابد أن يتقرب من الظواهر الطبيعية التي توجد حوله حتى يدفع عن نفسه تلك الأرواح الشريرة التي تقف في طريقه لتحقيق السعادة التي تتمثل في الاطمئنان ومحاولة ضمان المستقبل المجهول الذي كان محفوفا بالمخاطر[4].

---

(1) - Ferjaoui (A.), Recherche sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage, éd. Beït Al- Hikma, carthage 1992, P. 395.

(2) -Picard (G. Ch.), Op.Cit., PP. 8 - 16.

(3) رشيد الناضوري، **المغرب الكبير**، ج.1، الدار القومية للطباعة والنشر 1966، ص. ص. 104- 105.

(4) - Fantar,(M. H.) Introduction à la découverte archéologique de Carthage, Archéologie Vivante Vol- N° 1 -2 1969 , PP. 37- 51.

وحتى يتحقق له الاطمئنان المشار إليه نراه يعمد إلى ارتداء الأقنعة والتنكر في شكل حيوانات ضخمة مفترسة وذلك بارتدائه لجلودها والقيام بحركات ورقصات سحرية يلعب فيها الخيال دورا كبيرا[1]. **(أنظر الشكل رقم: 1، ص.13)**.

2- طقوس استـــدرار المطــر:

يبدو أنه أثناء تعامل البشرية مع فكرة طقوس استدرار المطر والمعتقدات التي تدور حولها من حيث غضب الآلهة وعقابها لعبادها بالجفاف، لذلك وجب عليهم إظهار ضعفهم وخضوعهم أمام قوة تلك الآلهة التي تسكن السماء والأماكن العليا مثل قمم الجبال. فكان على أناس ذلك العصر مقابل تهدئة غضب الآلهة أن يخرجوا في شكل جماعات إلى الهواء الطلق ثم يعبرون عن رغبتهم في استدرار المطر وذلك بسكب بعض المياه على التربة ثم لعقها وتعفير وجوههم بالوحل والتربة دليلا على مدى احتياجهم للغيث[2].

ومن جهته يذكر المؤرخ هيرودوت فيما يخص هذا الموضوع أن قبائل النسامون (Les nassamons) كانوا عندما لا يجدون شيئا من السوائل يأخذون التربة من الأرض ويلعقوها[3] كما كانوا يخرجون في جماعات لأداء هذا الطقس في الهواء الطلق معبرين عن مدى احتياجهم للغيث وذلك بإظهار ضعفهم وخضوعهم اعتقادا منهم أن الجفاف كان عقابا لهم وغضبا من الآلهة[4].

وقد ذكر هيرودوت أيضا أنه كانت تجري حفلة عند قبائل الماكسيس بمنطقة السيرت الصغير وملخصها أن فتيات القبيلة العذارى ينقسمن إلى فريقين ويدخلن في مواجهة عنيفة بضربات الحجارة والعصي ومن تمت نتيجة ذلك

---

(1) - Basset (R.), revue de l'histoire des religions, 1910, 1, P. 246 ; Bates the Estern libyan, Londre 1914, PP. 172 – 209.

(2) - Gsell (St.) H. A. A. N., T. VI, P. 122; Dion cassius Lx, 9

(3) - Hérodote, IV, 127.

(4) محمد الصغير غانم ، **بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب**، مجلة الحوار الفكري، ع.2، مطبوعات جامعة منتوري 2001، ص.61.

يعتبروها غير عذراء، وبعد ذلك يأخذون الأجمل من المشاركات في تلك اللعبة أي المعركة ويزينوها بلباس إغريقي ويتجولون بها في احتفال على عربة معتقدين بأنها تمثل الإلهة أثينا[1].



صورة لرسوم صخرية تمثل رقصات طقوسية لأشخاص متنكرين عثر عليها في وادي عكري بليبيــــا

الشكــل رقم 1

ومن حفلات وطقوس استدرار المطر أيضا التي يصفها الإيثنوغرافيون والتي حافظت على وجودها "حفلة بوغنجة"[2]. وهي كما يصفها أحد المعاصرين الأوروبيين[3] أنه عند حدوث الجفاف تجتمع العجائز مرفوقات بالأطفال، ويحملن ملاعق كبيرة مكسوة بالأقمشة والجلود فتتحول بذلك إلى دمية كبيرة وهن يرددن أهازيج يطلبن فيها استدرار المطر. **(أنظر الشكل رقم:2، ص.15)**.

---

(1) - Décret (F.) et M. Fantar, Op.Cit., P. 248;Hérodote, IV, 180.

(2) بوغنجة: تعني ملعقة في اللهجة الأمازيغية.

(3) - Génévois Henri, Un rite d'obtention de pluie (la fiancée d'anzar dans actes du deuxième congrès international d'études des cultures de la méditerranée occidentale, S. N. E. D., Alger, 1987, P.393.

وفي أثناء السير يلتحق بهن أخريات ثم تقدم لهم الأعطيات أو الهدايا من دقيق وزيت ولحم، ويتم تحضير الطعام عند مزارة أو ضريح ثم تتبع تلك الحفلة بلعبة العصي التي تسمى لعبة "أنزار" وفيها تتجمع الفتيات اللواتي هن في سن الزواج حول الفتاة التي تقوم بدور خطيبة أنزار ثم ينقسمن بعد ذلك إلى مجموعتين كل واحدة منهن ماسكة بعصا ويتقاذفن (كرة) حتى تسقط في الحفرة المخصصة لها وعندها تردد الفتاة خطيبة أنزار "الأرض وأنا زوجتان" "...تزوجنا رجلا دون أن نراه..." ثم تدفن الكرة في المكان المخصص لها، وتعود النساء إلى قريتهن قبل الغروب وتخبئ الملعقة الكبيرة إلى احتفالات قادمة.

إن أصل هذه الأسطورة تعود إلى شخص يعرف بـــ"أنزار"[1] كان سيد المطر في رأيهم، رغب في الزواج من فتاة في غاية الجمال والتي كان لها عادة الاستحمام في الوادي، وعندما نزل رب المطر إلى الأرض واقترب منها خافت وهربت منه فانتقم منها بإدارة خاتمه الذي يحمله في إصبعه فزال الوادي فجأة فأطلقت الفتاة صيحة في رعب مما أدى إلى تمزيق ملابسها، فبقيت عارية تماما، فصاحت نحو إله السماء "أنزار" تدعوه أن يعود الوادي للجريان وأن ينتقم لها، وفي اللحظة نفسها رأت الفتاة إله المياه على شكل برق عظيم فضمته إلى صدرها وبذلك عاد النهر إلى الجريان واكتست الأرض بالأعشاب[2].

---

(1) أنزار: اسم يعني إله المطر، لمزيد من المعلومات أنظر؛

- Picard (G. Ch.), Op. Cit, P.10.

(2) - Génévois (H.), Op. Cit, P. 393.



دمية تشخص صاحب الملعقة (بوغنجة) وأسطورته الشعبية التي تتعلق بطلب نزول المطر

الشـــكـــل رقـــم: 2

ومهما تبدو هذه الأسطورة متجانسة فإن غياب الوثائق الكافية يمنعنا من معرفة تاريخها وحقيقتها ومدى أصالتها في المنطقة، فمن جهة أخرى يتضح أن الحفل المشار إليه كان يشتمل على عدة أنشطة ورموز مرتبطة بشح الأمطار وحاجة البشر إليها والتي قد تتزامن مع فصل الخريف حيث يبدأ البذر أو الربيع الذي يعرف فيه النبات مرحلة النمو.

كما يتضمن حمل الملعقة الكبيرة التي تتجول بها النساء طريقة سحرية تعبر عن الأرض العطشانة والتي أدى الخيال الميثولوجي إلى إعطائها شخصية الفتاة خطيبة "أنزار"، ويبدو أن البعد الاجتماعي لهذه الأسطورة واضح من خلال تحضير الطعام والاشتراك في جمع مستلزماته والذي يعتبر نوعا من التضحية والقربان للآلهة.

وتجدر الإشارة على أنه بعد ظهور الإسلام أبطل كل هذه الاحتفالات وأقر مقابلها صلاة الاستسقاء التي يؤديها المسلمون في الساحات العامة بغية طلب الاستسقاء وإنزال المطر وأصبح يطلق عليها (صلاة الاستسقاء).

وبالمقابل فإن نسوة المجتمعات البشرية الموجودة حول بحيرة تريتون بليبيا كنّ يخرّجن وفقا لإشارة هيرودوت (Hérodote) إلى الأودية القريبة من التجمع ويستحمن في الهواء الطلق في الصباح الباكر، ثم يستعطفن الآلهة لاستدرار المطر ويطلبن الإخصاب[1].

والملاحظ هنا أنه لا يستبعد أن يكون الالتجاء إلى الأودية هو تيمنا بنهري "دجلة" و"الفرات" ووادي النيل والفيضانات التي كانت تنتابها من حين لآخر عملية الإنبات والازدهار التي تلي فصل الفيضانات في المنطقتين لدرجة أن هيرودوت نفسه يقول عن مصر بأنها "هبة النيل"[2].

---

(1) - Augustin(St.) Sermons CX C VI. ; Gsell (St.) H. A. A. N., T. VI, P. 120

(2) - Gsell (St.) Textes d'Hérodote imprimerie librairie de l'université- Alger 1915, P. 39.

والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا؛ هل أن أسطورة استدرار المطر والاستحمام في الأودية هي ذات أصول شرقية مرتبطة بالأنهار الدائمة الجريان؟ أم أن فترة الجفاف التي كانت تمر بها المنطقة هي التي أوحت لهيرودوت بالإشارة إلى تلك الحادثة، وهي مأخوذة من الواقع المغاربي المعاش؟ هذا ما لا يمكن أن نجيب عليه الآن وذلك لنقص الوثائق التي تتناول الموضوع، ولو أن الرأي الأخير هو الأقرب إلى الصواب في نظري[1].

أما فكرة الالتجاء إلى الوديان فهي ولاشك مستوحاة من عبادة الأودية والأماكن العميقة التي مارسها الشمال الإفريقيون عامة بما فيهم المصريين الذين كانوا يحتفلون سنويا بنهر النيل، وقصة عروس النيل معروفة لدى الجميع[2].

3– عبـــادة الميـــــاه:

إنّ الأهمية التي تكتسيها المياه بالنسبة لحياة الإنسان والنبات والحيوان، جعلت منها موضوع عبادة ويكون الأمر طبيعيا أكثر في شمال إفريقيا الذي يتغلب على مناخه الجفاف في كثير من الأحيان،حيث تصبح المياه غير كافية أو نادرة، مما أعطاها قيمة مقدسة منذ أقدم العصور[3]، لذلك عبّر الإنسان المغاربي عن حاجته إليه — كما سبق– واستدراره بطرق مختلفة.فيما يخص المياه التي أخذت شكل منابع (عيون) وآبار فقد اعتبرها إنسان المنطقة سكنا للمقدس[4]، لذلك كانت الكثير من الابتهالات تقدم للتضرّع لـــ"جنون المياه". وما ظاهرة الآبار المقدسة حاليا في بعض المناطق من بلاد المغرب القديم إلا امتداد لاهتمام ديني قديم جدا[5].

---

(1) - Décret (F.)et Fantar(M.),Op. Cit., P.P. 10-12.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، **دراسات في تاريخ ليبيا القديم**، المطبعة الأهلية بنغازي ليبيا 1966 ص.51؛

(3) - Gsell (St.),Hérodote textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord, Alger,1919, P. 19.

(4) - Leglay (M.) ,Saturne Africain , T. 3 (Histoire), édition de Boccard, Paris 1966, P.421
Picard(G. Ch.), Op. Cit., P. 6

(5) - Leglay (M.) ,Op. Cit., P. 421

وتقدم لنا الآثار في هذا المجال أدلة عديدة من مختلف مناطق المغرب الكبير، تمثل أشكال استمرار هذا التقليد في العبادة من خلال رومنة عبادات قديمة. منها ما عثر عليه ج.ش. بيكار"G.CH.Picard" في وسط الحصن الروماني بموقع مسعد الأثري "Castellum Dimmidi"[1] وهي عبارة عن دمية تشخص صاحب الملعقة (بوغنجة) وأسطورته الشعبية التي تتعلق بطلب نزول المطر بمنطقة مسعد بالأغواط -الجزائر، وهي عبارة عن بئر في أسفله بناء خاص بالتعبد (Praetorium) لجيش المعسكرات الرومانية، كما يوجد بها محراب يغطي البئر العتيقة.ويدّل ضيق المدخل وعزلة البئر في عمق الأرض على الاعتقاد بأنه كان يستخدم لممارسة عبادات ذات طبيعة أسطورية.

ومما يدعم التفسير السابق، العثور على إهداء (Dédicace) إلى عدة آلهة منها إسكولاب (Esculape)، وهو الإله الذي يرأس كهنة المياه، ومنه استخلص بيكار أن إسكولاب يمثل شخصية جن ليبي للمياه الصحية.

ومن الأمثلة الأخرى كذلك تشير إلى آلهة المياه نيمهي "Les nymhées" بزغوان "Zaghouan" وعين طبرنق "Ain Tebornok" في تونس، والتي يبدو انه تم بناؤها حول منابع كان السكان يعتبرونها مقدسة[2].

كما وجدت الظاهرة نفسها في تيمقاد، حيث عثر م. لسشي (M. Leschi) سنة 1947 في الحصن البيزنطي على بعد 300 متر جنوب المدينة على معبد ثلاثي مشيد على النمط الروماني، والملفت للانتباه فيه أن قلعة الوسط (Chapelle) كانت أكبر من الأخريات، كما يشغل المسبح القسم الأكبر من الساحة الممتدة أمام المذبح،

---

(1) كاستيليوم ديميدي: حصن روماني يوجد في موقع متقدم من خط الليمس في منطقة الحضنة قريبا من بلدة مسعد الحالية ولاية الأغواط، وقد أجريت فيه تنقيبات أثرية في سنة 1939 و1941، لمزيد من المعلومات أنظر ؛

- Picard (G. Ch.), Castellum Dimmidi, éd. Boccard, Paris ,1975.PP.28-36.

(2) - Décret (F.), et Fantar (M.H.) , Op.Cit. , P.247

وأنّ جزء من بقايا النصب الذي تم العثور عليه يمثل الإله "سيرابيس" "Cerapis" أو "اسكولاب" والذي يمثل آلهة المياه. وما تسميه العين (المنبع) الأصلية بـــ" aqua septimiana "أو إعطاء الرومان لها الطابع المقدس وتسميتهم لها بـــ"Numen" أو "De Vertus"، إلاّ شكلا من امتداد لعبادة محلية[1].

4- عبادة الشمس والقمـــر:

كـــانت عبادة الشمس والقمر منتشرة بين المغاربة القدماء فقد جاءت أول إشارة إليها عند المؤرخ الإغريقي هيرودوت[2] "... ما عدا قبائل النسامون الذين يستقرون حول بحيرة تريتون أي خليج السيرت الصغير [3]. وقبائل الأترن "Les Atarantes" الذين كانوا يلعنون الشمس التي تؤذيهم[4].

أما بقية الليبيين فكانوا يعبدوها ويقدمون لها الأضاحي بطريقة وصفها المؤرخ المشار إليه آنفا "...حيث كانوا يقصون للأبكار من القطيع جزءا من أحد أذنيها ثم يرمونه ما بين كتفي القربان الذي تلوى رقبته ثـــم يضحى به بعد ذلك للشمس.."[5]. وهذا بهدف دفع الأرواح الشريرة ونمو القطيع، وللإشادة بإله الشمس الذي يبعث الدفء والحياة والحركة في تصور الإنسان القديم من الارتباط بفصول الزراعة والحصاد في تداولهما ودورها في تخصيب الأرض بأشعتها الحارة، فهي بمثابة المقدس الذي نفخ الحياة في كل شيء في هذا الوجود[6].

---

(1) - Picard (G. Ch.), Les religions de l'Afrique Antique , Librairie Plon , Paris 1945, P. 6.

(2) - Hérodote IV, 188.

(3) - Picard (G. Ch.), Op. Cit, P.21.

(4) - Hérodote, IV, 187.

(5) - Hérodote IV. 188

(6) حسن نعمة، موسوعة الميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت 1994، ص. 24.

وحسب ج. كامبس فإن النص المهم عن عبادة الشمس هو ما ذكره الأديب والمؤرخ الروماني سيسرون في كتابه (De Republica, IV,4) والذي لا يستبعد فيه إمكانية حدوث تبديل في صياغته عند كتابة سيسرون له لكن المعنى بقي نفسه، وفحواه أن ماسينيسا الذي تشبع بالثقافة البونية استضاف سيبيون الإميلي "Scipion Emilien" ذكر "...أتقرب إليك أيتها الشمس العالية جدا، وآلهة السماء الأخرى، بأن يعطى لي قبل أن أغادر الحياة الدنيا، وأرى تحت سقفي في مملكتي كورنيليوس سيبيون..."[1].

كما أشار إلى عبادة الشمس مؤرخون آخرون مثل بلين القديم وديودور الصقلي اللذين أشارا إلى انتشار عبادتها بين سكان المغرب القديم.

وفي القرن الرابع عشر بعد الميلاد أشار ابن خلدون إلى انتشار عبادة الشمس بين بعض القبائل البربرية حيث استمرت تعبد هي والقمر إلى جانب الديانات السماوية الأخرى، لاسيما اليهودية والمسيحية[2].

وحول عبادة القمر عثر في القرن الثالث بعد الميلاد في كتابات ترتيليان Tertulien على إشارات إلى ثلاثة آلهة قــمرية منها فارسوتينية Varsutina المورية التي كان يعبدها الأفارقة الذين لم يترومنوا[3].

كما كان للقمر مكانة خاصة في الطقوس التي أثبتها السحر، والتي استمرت تمارس حتى وقت متأخر[4]، وهو ما دفع ببعض المؤرخين إلى اعتبار عبادة القمر أكثر انتشارا من عبادة الشمس عند البربر.

---

(1) - Camps (G.) ,Berbères ,Aux Marges de l'histoire, éd. des Hespérides, 1980. P. 200.

(2) عبد الرحمن ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، المجلد السادس، دار الكتاب اللبناني، 1968، ص.185.

(3) - Décret(F.) ,et Fantar(M.), Op. Cit., P. 261.

(4) - Gsell (St.), H. A. A. N., T.1,P. 141.

وقد دفع سكوت الكتّاب الذين جاءوا بعد هيرودوت على الإشارة إلى عبادة الشمس عند المغاربة واستمرارها حتى القرن الرابع عشر الميلادي، وأنّ عدم وجود أدلة أخرى أثرية تثبت ما ذهب إليه كل من س.جزيل و ج.ش. بيكار والذي يفهم منها التشكيك في أصليتها يبقى محل تسائل؟.

ولمناقشة هذا الموضوع يجدر بنا أن نستبعد هنا منذ البداية الأدلة المعتمدة على الدائرة التي تعلو رأس الكبش والثور والتي تشير إلى قرص الشمس لأنها تطرح قضية التأثير والتأثر بعبادة المصريين القدماء الذين عبدوا الكبش أمون في واحة سيوة.

ومما يدعم فرضية التأثير الأجنبي أنه في القرن الخامس قبل الميلاد عندما كتب هيرودوت كانت المنطقة مفتوحة على التأثيرات الأجنبية سواء المصرية منها أو الفينيقية واليونانية، فقد كانت للشمس عند تلك القبائل مكانة وأهمية كبيرة.

وبالمقابل فإن أدلة كتابية (نصوص)، وأدلة أثرية ترجح الأصل لعبادة الشمس والقمر بالمغرب القديم. فطريقة تقديم النسامون لأضحياتهم للشمس وفق رواية هيرودوت تبدو طقسا محليا خاصا بهم، كما أن ما ذكره ابن خلدون عن تمسك قبائل بكاملها بتلك العبادة رغم انتشار الديانة اليهودية والمسيحية والإسلام بالمنطقة يمكن أن يتخذ دليلا على شعبيتها وعراقتها.

أما الآثار التي تم اكتشافها حديثا والتي استند إليها بعض المؤرخين مثل ج. كامبس وم.لوغلي كأدلة على عبادة الشمس، فهي كثيرة سواء تلك التي وجدت على النصب النذرية والإهدائية أو توابيت القبور التي تحمل رسم قرص الشمس ورمز القمر[1].

ففي مغارة سيلة "Sila" بالجزائر تم اكتشاف نصب يمثل رأسا بشريا عليه أشعة مصحوبا بكتابة بونية، لكن تآكل الرسم صعب من قراءة النص الكتابي، كما تم العثور على رسم صخري شرق قسنطينة مماثل للذي سبق كان قد

(1) - Camps (G.), Massinissa ou les débuts de l'histoire , Libyca, T. VIII, 1960, P. 23.

قرّب الصورة أكثر وقرئت كتابته اللاتينية التي جاء فيها الاسم التالي إفرو "Ifru" أو ربما إيرو" Ieru "، والذي قد يكون اسما لإلهة ليبية قديمة كما يدل على ذلك الإسم. يضاف إلى ذلك النقش الصخري الذي وجد قرب واحة كريز (Kriz) جنوب تونس وهو يمثل رأسا يعلوها هلال، ومنه يتضح انتشار تلك العبادة في مراكز بعيدة عن مناطق الاتصال المباشر مع الخارج[1].

ومهما يكن من أمر، فإن قلة الوثائق وغموضها لا تسمح بالجزم في الأصل المحلي لهذه العبادة أو أنها كانت مجلوبة من الخارج مع التأثيرات التي انتابت المنطقة، وفي هذا المجال نعتبر رأي ج. كامبس وجيها عندما يرفض الاستناد إلى قلة الشهادات وعدم دقتها في تقرير فقر المعتقدات عند البربر وأنه لم تكن لهم إلا ديانات بدائية مثلما يذهب إليه بعض المؤرخين[2].

ويمكن أن يكون المغاربة القدماء قد مارسوا عبادة الشمس والقمر منذ أقدم العصور دون تأثير خارجي وذلك من خلال ملاحظتهم اليومية لمسيرة كوكب الشمس، شأنهم في ذلك شأن كامل الشعوب في العصور القديمة مع إمكانية العدول وعبادة ديانات التوحيد لاحقا. كما أن ربط هيرودوت في كتاباته بين الشمس والقمر من جهة والأسماء التي أعطاها الليبيون للشمس مثل: الإله الأكبر، الأعلى، الملك، السماء، روح الشمس، الشمس، الأقوى، تسمح بالتساؤل عن معرفة السكان المحليين لنوع من التوحيد الكوكبي، نلمس ذلك في التأثيرات المصرية، لاسيما بعد عصر الفرعون أخناتون الذي نقل العبادة إلى تل العمارنة وكتب كثيرا من الابتهالات في وصف إلهه أتون رع الذي يشير إلى عبادة الشمس[3].

(1) - Ibid. 23.
(2) - Camps (G.), Berbères aux Marges de l'histoire..., P. 202
(3) - Leglay (M.) , Op.Cit., P. 424.

5- عبـــادة الكهـــوف:

يبدو أن المغاربة القدماء كانوا قد قدسوا الكهوف والمغاور التي كانت تأويهم حيث رسموا في جوانبها العميقة المظلمة مستعينين على ذلك بإشعال النيران. وفي كثير من الأحيان كانت الأماكن المتوغلة في الكهوف تحمل رسوما حيوانية وآدمية حبسا على الكهنة الذين يسهرون على المحافظة على تلك الرسوم وتقديم الولاء لها بدلا من البشر العاديين[1].

يمكن أن يكون اسم إفـــريقيا (Africa) الذي ظهر في الفترة الرومانية مأخوذا من التسمية المحلية لإله الكهوف إفري (Ifri)، ثم عمم مدلول هذا الاسم فيما بعد ليطلق على القارة بأكملها "إفريقيا". وهذا اعتمادا على الدراسات التي قدمها كل من س. جزيل "S.Gsell" وهـــ.باسي "H.Basset"حول هذا الموضوع خاصة عند مناقشتهما للنقوش الليبية في المنطقة[2]. **(أنظر الشكل رقم: 3،أ، ص.25)**.

لم تخصص الكهوف المغاربية للسكن والرسوم على جدرانها فحسب، بل دفنوا أيضا موتاهم في أرضيتها. وقد أشار المؤرخ الإغريقي هيرودوت أنه كان من عادة المغاربة القدماء النوم على قبور الأشخاص الذين كانت لهم مكانة اجتماعية محترمة أثناء حياتهم مثل رؤساء القبائل والكهنة. وكل حلم يتراءى لهم أثناء نومهم على تلك القبور يأخذونه مأخذ الوحي ويعملون به أو يحتكمون إليه[3].

ولا يستبعد أن تكون فكرة بناء الأضرحة الضخمة والمعابد التي كانت قد شيّدت للملوك والأمراء النوميديين فيما بعد قد انطلقت مما أشير إليه آنفا. وبذلك كانت محلات للعبادة والتقديس من قبل الأحياء أكثر منها مقتصرة على الدفن فقط. وقد تمثلت أشهر تلك الأبنية في الضريح الموريطاني بالقرب من

---

(1) - Robert (M.), dans congrès préhistoriques de France, Prégueux 1905, P. 225.

(2) - Gsell (St.) H. A. A. N., T. I, P. 256; François Decret et Mohamed Fantar, Op.Cit., PP. 22-26.

(3) - Hérodote, 4. 172.

تيبازة بوسط الجزائر والمدراسن والصومعة بالشرق الجزائري. وضريح دوجة (Dougga) بتونس[1]. (**أنظر الشكلين رقم: 3، ب، و4، ص ص.25-26**).

ويبدو من الإشارات العديدة التي أشارت إلى هذا الموضوع أن المغارات والكهوف كانت محل تقديس من طرف السكان المحليين الذين اتخذوها أمكنة للعبادة، ونظروا إليها بخوف واحترام، وقد يرجع ذلك لكونها في نظرهم مساكن للآلهة[2] (Habitales)، أو لأن عمق المغارة في رحم الأرض يسمح لهم بالاتصال مع الإله تحت الأرض (Chtonien) وربما مع الإله الأعلى[3].

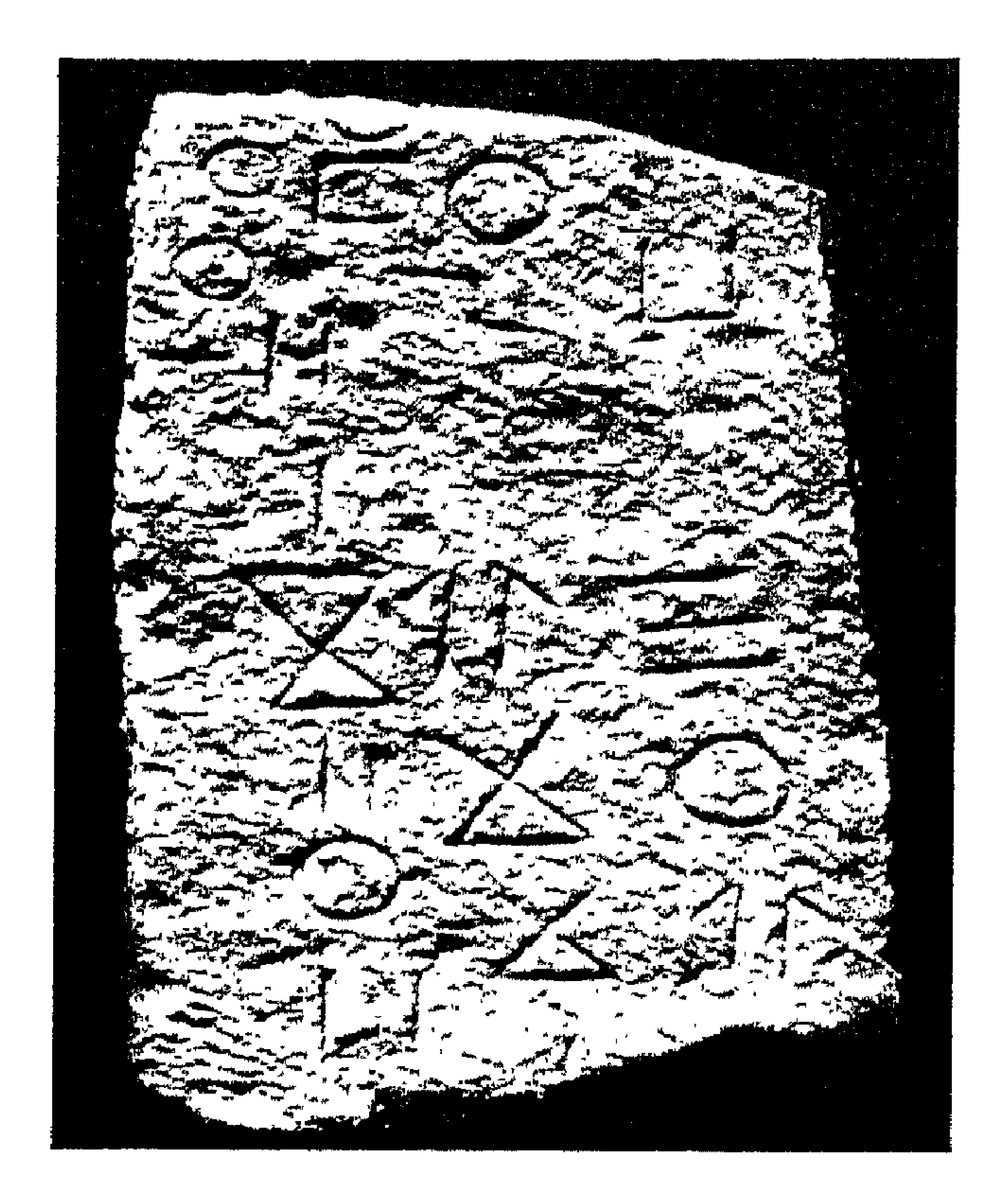
فحسب القديس أوغسطين كان بعض المعاصرين له يعتقدون أنهم يكونون أقرب إلى الله عندما يغوصون في باطن الأرض.

---

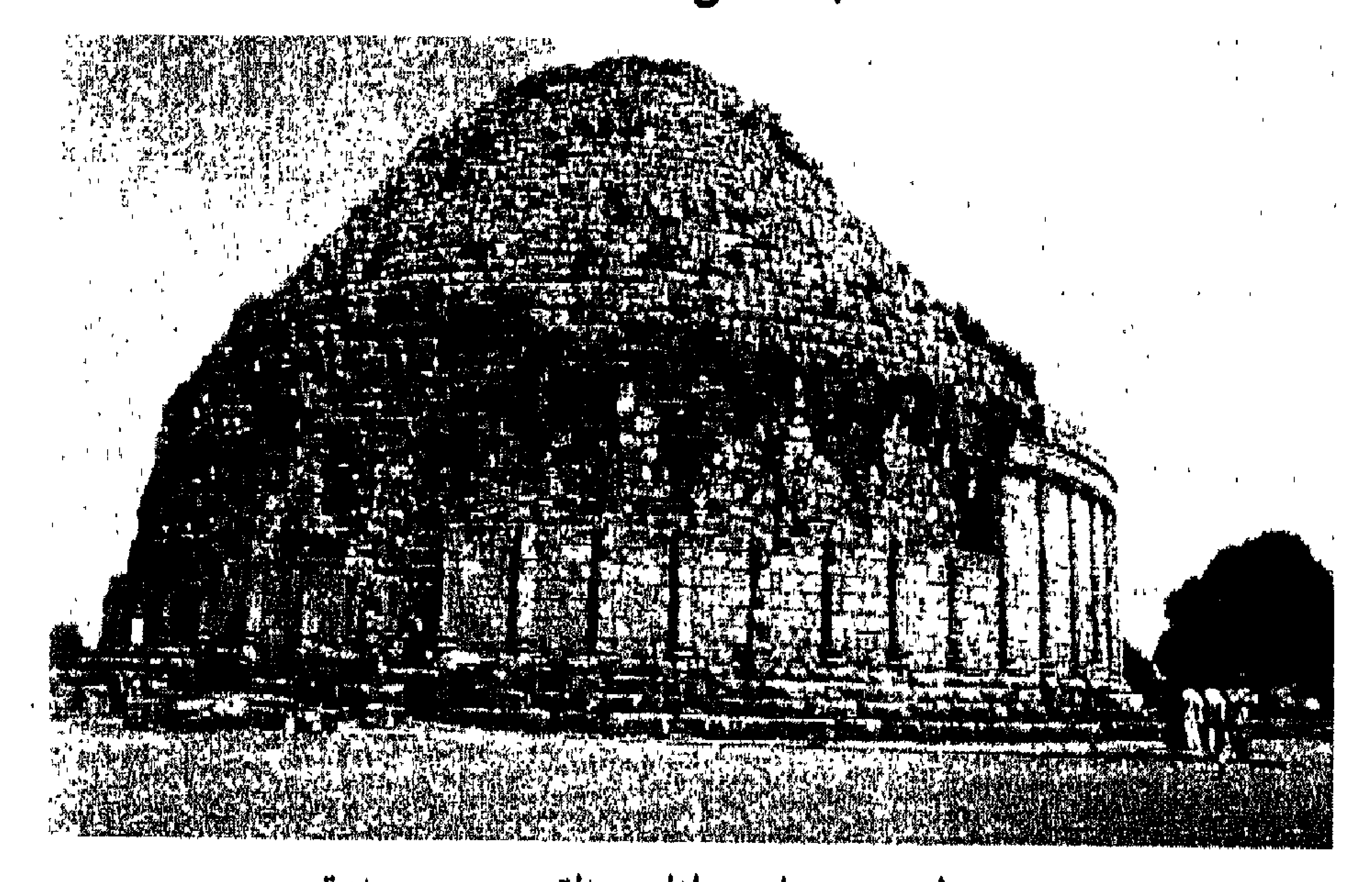
(1) - Ballu (A.), Rapports sur les travaux du service des Monuments Historiques de l'Algérie partie III, P. 37 et suiv.

(2) - Leglay (M.), Op.Cit., P. 420.

(3) - Saint Augustin, Sermones XLV, 7; G. Camps berbères aux marges de l'histoire., P. 197

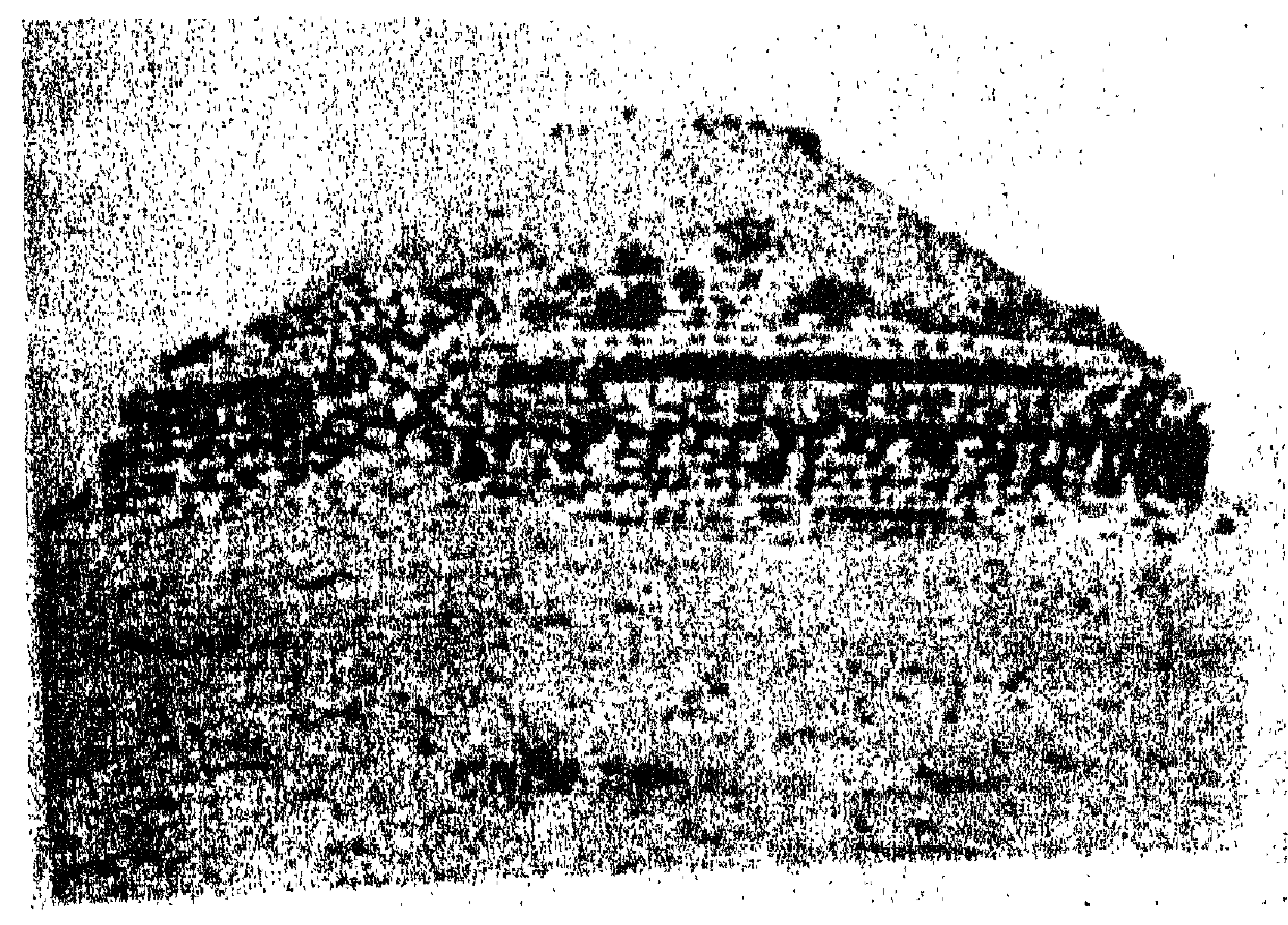


أ- نصب يحمل نقشا ليبيـــــا



ب- الضريح الموريطالني بالقرب من تبازة

الشكـــل رقم: 3



صورة لضريح المدراسن بالقرب من باتنة وتظهر عليه لمسات العمارة المشرقية الإغريقية واضحة. يعود إلى نهاية القرن الرابع ق.م.

الشكـــل رقم: **4**

وقد كانوا يرسمون في جوانب الكهوف والمغارات العميقة المظلمة رسوما حيوانية وآدمية مستعينين في ذلك بإشعال النيران، فكانت صور الأماكن المقدسة موغلة داخل الكهوف.

ومن الأمثلة على المغارات تلك الموجودة بوادي التل أين يغطي الرسوم جدران بعض القبور الاصطناعية، أو بوادي الشايل (L'ouad Cheil) قرب طرابلس أين تغطي النقوش الصخرية أرضية إحدى المغارات الطبيعية. كذلك توجد رسوم ذات الشكل البشري على مدخل كهف بوزباوين (Bouzabaouine) بجبل الفرطاس بالقرب من عين مليلة وفي كهف "دخلة الزيتون" قرب ميلة[1].

---

(1) - Gsell (St.), H. A. A. N., T.1, P.256.

وتشير النقوش التي وجدت على جدران المغارات والكهوف إلى أنها اتخذت أمكنة لعبادة بعض الآلهة سواء ذات الأصل الأجنبي مثل تلك التي تحتمل أنها كانت مخصصة لعبادة هرقل (Hercule) أو لعبادات محلية بحتة[1].

ولا تسعفنا النقوش للتعرف عن أسماء تلك الآلهة المحلية إلا بذكر اسم الإله "باكاس"(Baccax) في كهف "غار جمعة" بجبل طاية بالشرق الجزائري، حيث يذهب (Deux magistrats du Pagus) للحج كل عام في فصل الربيع واللذين كانا يقدمان القرابين، وفي نقش إهدائي لباكاس الأعلى "Baccax Augustus"، وكذلك الشأن في جبل شطابة قرب قسنطينة، أين نقشت إهـــداءات كثيرة تحت ظلال صخرة، والتي لا يشار إليها إلاّ بالحـــروف الآتية: "G. D. A. S."، وكانت توجد بالقرب منها ثقوب (كوة ج.كوات) يمكن أن يكون السكان قد استعملوها لوضع بعض التقديمات المختلفة[2].

---

(1). - Ibid.

(2) - Camps (G.),Berbères aux marges de l'histoire, P. 179

الفصل الثاني

عبادة البشر والطقوس الجنائزية

1. عبادة الملوك.
2. عبادة الأموات.
3. الطقوس الجنائزية.
4. وضعيات الدفن.
5. طقوس طلاء الجثث بالمغرة.

– عبــــادة الـــبـــشـــر والطقوس الجنائزية:

1- عـــبادة الــمـــلوك:

لقد حظي بعض الملوك بمكانة متميزة عند المغاربة القدماء، سواء من خلال النقوش والعمارة الجنائزية أو كتابات المؤرخين،كما عرف هذا الموضوع تباينا في آراء المؤرخين.وتعود الوثائق الأولى حول ما عرف بعبادة الملوك والحكّام عند الشعوب القديمة في شمال إفريقيا إلى القرن 3 ق.م.، حيث عثر في نقيشة دوجة الثانية[1] على نص إهدائي بالقرب من الضريح الذي شيّد في السنة العاشرة من حكم الملك مسيبسا ابن الملك ماسينيسا وقد كتب بالبونية والليبية وهذا مقتطف منه "شيد مواطنو دوجة هذا المعبد للملك ماسينيسا بن الملك غايا بن الشفط زلالسن، في السنة العاشرة لحكم مسيبسا"[2]. وقد استند بعض المؤرخين عند دراستهم لهذا النص نذكر منهم "ج. ش. بيكار"[3] وس. جزيل[4] على هذا النقش في الإشارة إلى تأليه النوميديين للملك ماسينيسا، وبالعكس من ذلك يرى محمد حسين فنطر ومحمد الصغير غانم أن لا شيء في النص يثبت أو يدعو إلى الاعتقاد من أن هناك أشياء في هذا النص تؤكد عبادة النوميديين للملك ماسينيسا فهو (أي النص) لا يعطيه إلا لقب ملك وهو ما أشير إليه في النص البوني بـــ "هـــ م م ل ك ت" (أي الملك) أو بالكلمة اللوبية "ج ل د" يعني (الحاكم الذي له صبغة عسكرية)، أما مصطلح" ت م ق د ش" فهي تعني (البناء) أو المكان المقدس، وليس لها أي ارتباط بشخصية ماسينيسا، وقد لا تفيد القارئ ولا تحمل بالضرورة العبادة والتقديس، كما أن البناء في حد ذاته والنقيشتين اللتين عثر عليهما بالقرب من الضريح فهما يعودان إلى السنة العاشرة

---

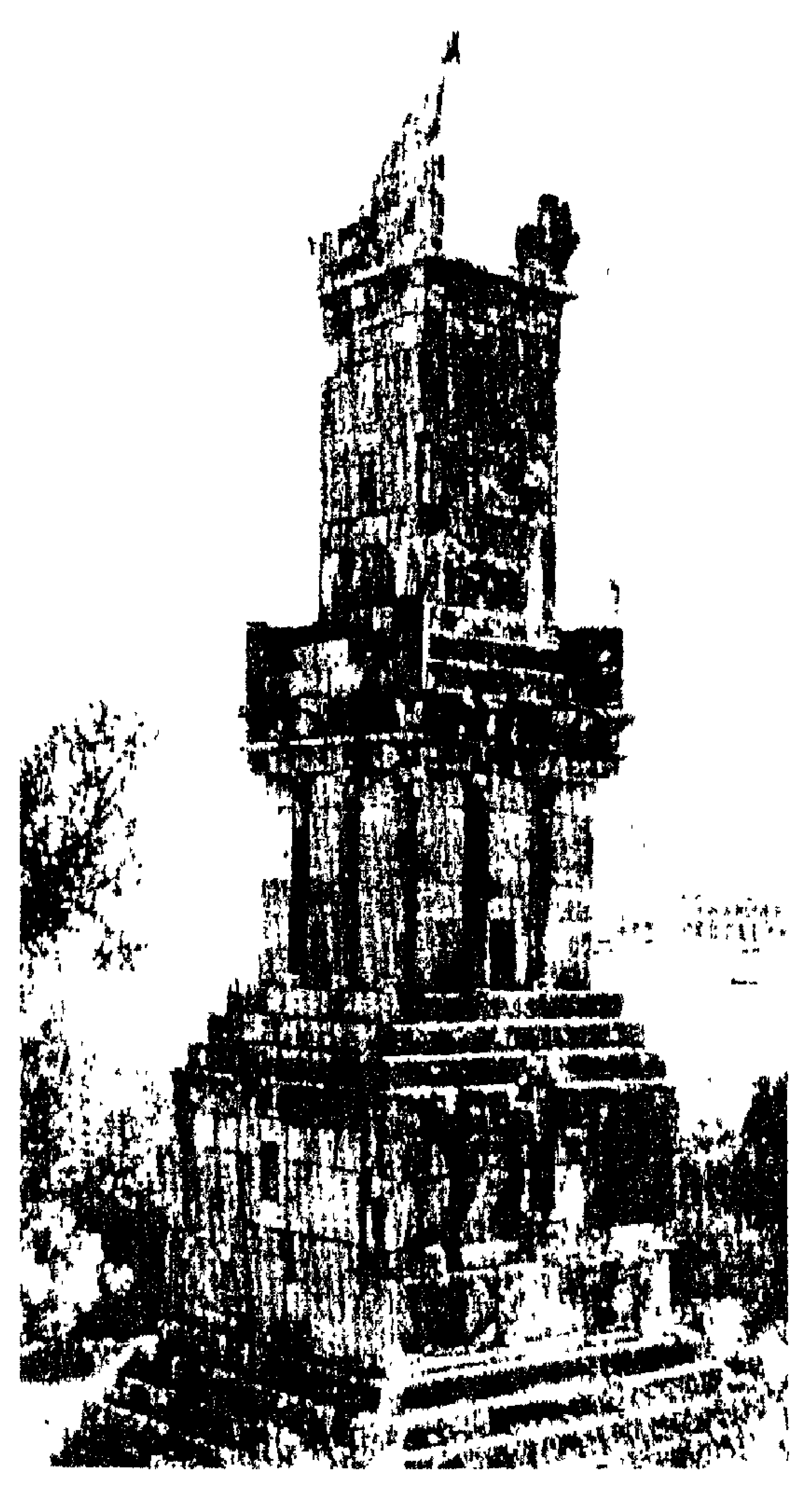
(1) توجد الحجرة التي عليها النقش بمتحف الباردو بتونس.

(2) - Chabot , Punica,Op.Cit., Paris, 1918, P.208

(3) - Gsell Picard (G. Ch.), Op. Cit., P. 17.

(4) - (St.), H. A. A. N, T. 6, PP. 130 - 131.

من حكم مسيبسا كما أشرنا إلى ذلك آنفا[1] (أنظر الشكلين رقم: **5**، **6**، ص ص. **31-32**).

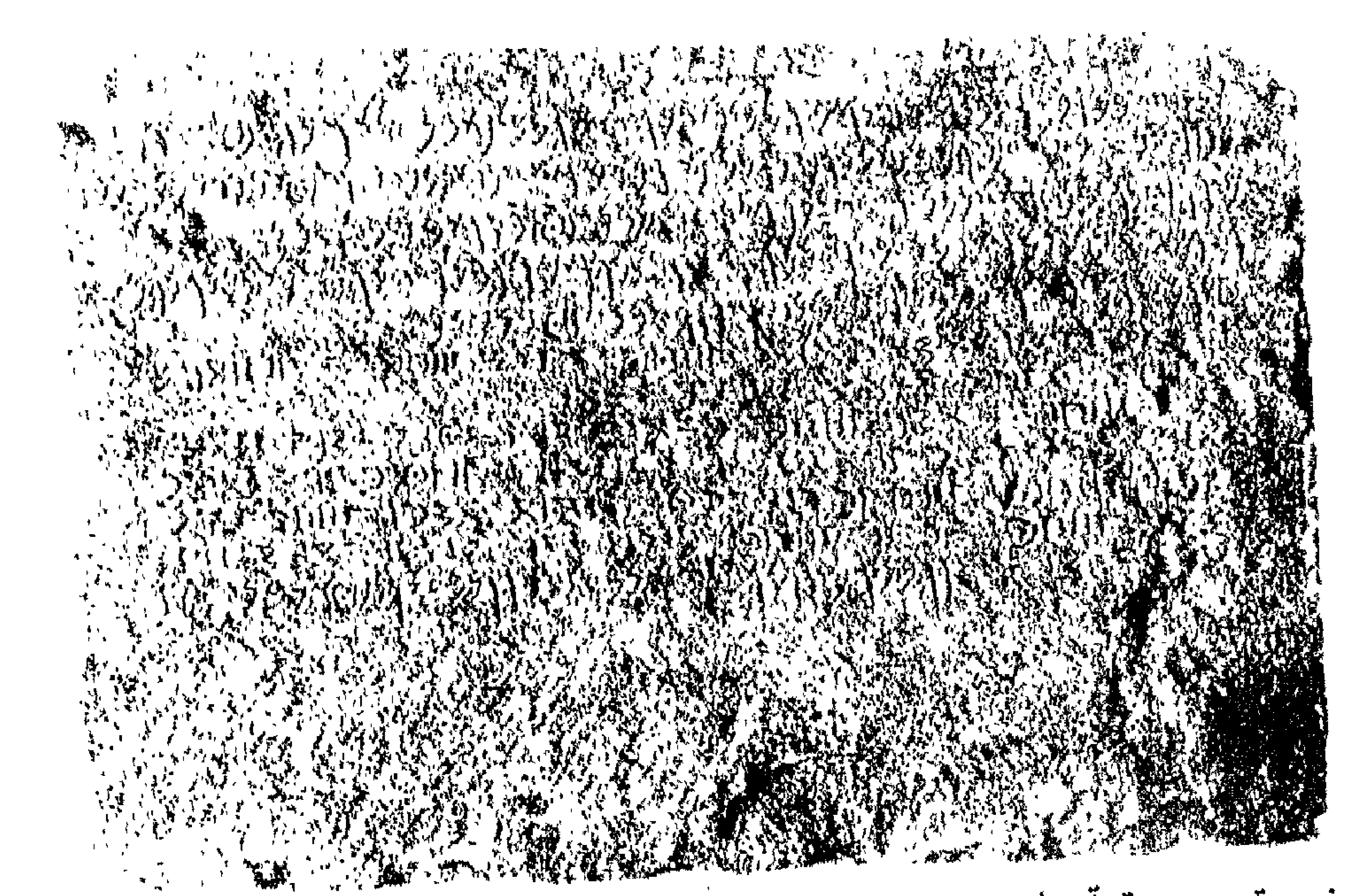


ضريح دوجة النوميدي الذي شيد في السنة العاشرة من حكم مسيبسا وفاء منه ومن سكان المدينة لخدمات والده ماسينيسا للدولة النوميدية

الشكل رقم: 5

(1) - Décret(F.) et Fantar (M.), Op. Cit., PP. 257 - 258;

- غانم محمد الصغير، نقيشة دوقة الأثرية (دارسة لغوية وتاريخية)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 10، قسنطينة 1998، ص. ص. 101- 112.



صفيحة حجرية تحمل نقيشة دوجة الثانية وقد عثر عليها بالقرب من ضريح دوجة الأثري (متحف باردو بتونس)

النص البوني الليبي لنقيشة دوجة الأثرية القرن الثاني قبل الميلاد

الشكـــــــل رقم: 6

- محتوى النص منقولا إلى اللغة العربية:

1. شيد سكان دوقة هذا المعبد للملك ماسنيسا بن الملك غاية بن السوفيت زلالسن وذلك في السنة العاشرة.

2. الحكم الملك مكواس ... سنة الملك شفوط بن نبي وشفوط بن نجم بن تنكوى.

3. مصصكوى (المهندس) هو ماغون بن يرشتن، بن سديلن و(الجزيي) (المقاول) هو ماغون بن شفوط قائد المائة بن عبد اشمون.

4. رئيس الجمال زهر بن مسنف بن عبد اشمون، رئيس الخمسينات. هو هشنوقل بن الملك ماغون.

5. أشرف على بناء أو صيانة هذا العمل (مبنى المعبد) اشيان بن انككان بن فطش واريش بن شفط بن شنق ....

إن بقية الأسطر الستة الأخرى في النص كانت قد كتبت بالليبية وهي تكاد تكون ترجمة لما ورد في الأسطر الخمسة الأولى التي كتبت بالبونية ثم تأتي بعد ذلك السطر الثاني عشر الذي كتبت فيه الجملة الأولى بالليبية تليها بقية الجمل حتى نهاية السطر بالكتابة البونية ومحتواه كالتالي:

12. البناؤون هم حانو بن يتانبعل بن حنبعل ونفطس بن شفط (-).

حينئذ فالضريح لم يأخذ صفة القداسة إلا بعد أن بدأ السكان بتمجيد روح صاحبه الميت من خلال الزيارات والأعطيات والتجمع حوله[1]، تتجاوز تلك التي يتلقاها الأموات العاديون[2].

وفي شرشال تم العثور على كتابة بونية جديدة (Néopunique)، عرفت بنقيشة مسيبسا (Micipsa) وربما كانت تشير إلى ضريح لمسيبسا لم يعثر على بقاياه الأثرية، وقد يكون إنجازه قد تم متأخرا بنصف قرن على الأقل من موت

(1) - Décret(F.) et Fantar (M.), Op. Cit., P. 258.
(2) - Camps (G.), Massinissa..., P. 298.

العاهل المشار إليه[1]، ذلك لأن صاحب هذا الإهداء هو يعزم (Y'ZM) الذي يعلن نفسه خادما (Ordonateur) للإله، ومن خلال قراءة هذا النقش يتضح المضمون الديني لفكرة تأليه مسيبسا[2]، هل كانت العبادة قد تمت قبل وفاته أو بعدها؟ هذا ما لا يمكننا التثبت منه وذلك لنقص المصادر حول هذا الموضوع.

كما تم العثور على عدة نقوش إهدائية كتبت باللغة اللاتينية تعود إلى الفترة الرومانية، تتضمن تأليه بعض الملوك "البربر" مثل غلوسة Gulussa[3] وهيمبسال (Hiempsal)[4] ويوبا الأول Juba[5].

كما أشار الكتاب المسيحيون[6] في عهد الروم البيزنطيين إلى حب الموريين وتقديسهم لملوكهم الوثنيين[7].

ومن جهة أخرى يذهب أغلب المؤرخين إلى أن قبور البازيناس والشوشة ذات الأصل المحلي والتي تغطي معظم بلاد المغرب الشمالية تقريبا اعتبرت هي الأخرى بمثابة أشكال بسيطة بنيت على منوالها الأضرحة النوميدية فيما بعد[8].

---

(1) - Picard (G. Ch.), Op. Cit., P. 130.

(2) - Décret (F.)et Fantar (M.), Op. Cit., P. 258.

(3) - C. I. L., VIII, 18752.

(4) ويوجد في Thubursicum Numidarum أي خميسة (Khamissa) الحالية، كما وجد في تيكلات (Tiklat) قرب بجاية، لمزيد من المعلومات أنظر ؛

- Gsell (St.), Inscriptions Latines de l'Algérie, I, 1242 ; C. I.L. , VIII, 8834.

(5) وهو يوجد في ناحية برج بوعريريج شرق الجزائر، لمزيد من المعلومات انظر؛

- C. I. L., VIII, 20627.

(6) وهم تريتون Tertulien ومينيكوس فيليكس Minicus Felix وسان سبريان Saint Cyprien ولاكتنس Lactance، لمزيد من المعلومات أنظر ؛

- Gsell (St.), H. A. A. N., T.6, P.131.

(7) - Picard (G. Ch.), Op. Cit., P.6.

(8) يوجد الضريح الموريطاني بالقرب من تيبازة بالوسط الجزائري والمدراسن والصومعة بالشرق الجزائري وضريح دوجة بتونس

ومن المهم الإشارة هنا إلى تباين آراء المؤرخين حول عبادة الملوك النوميديين وأسبابها، وخاصة نشأتها المرتبطة بالعاهل ماسينيسا، حيث يرى س.جزيل أن ماسينيسا أنشأ هذا التقليد وذلك بإعطائه الطابع الإلهي لنفسه لأجل تعزيز سلطته السياسية، كما فعل الفراعنة في مصر ثم الأباطرة في روما فيما بعد،وعلى غرار ذلك قلّد ماسينيسا من جاء بعده من الملوك النوميديين[1]، إلا انه بالاستناد إلى أدلة عديدة يمكننا استبعاد هذا الطرح الذي يبدو أنه جاء متأثرا بشيوع ظاهرة تاليه الملوك والحكام وهم أحياء منذ القرن 3 ق.م. مثل فيليب والإسكندر المقدوني اللذين جعلتهما البطولة مؤهلين للتأليه[2].

كما يدل تاريخ بناء ضريح دوجة على أنه تم بعد موت ماسينيسا بعشر سنوات مما يدل على أن عبادته كانت قد حدثت من قبل النوميديين بعد موته[3].

يضاف إلى هذا أن النقوش التي يتم الاستناد إليها لتقرير انتشار عبادة الملوك ليست أكيدة، فقد أشار ج. كامبس بأن الأمر كان قد طبق قبل الملوك النومديين وقد تعلق بآلهة ليبية وبونية استمد الملوك أسماءهم منها كما هو الحال بالنسبة لماسينيسا " م س ن س ن " الذي وجد اسمه على عملة تعود إلى فترته، ويبدو من كتابة اسم ماسينيسا بأنه اسم مركب من "م س" – "ن س ن " مما يعني في بعض اللهجات الجزائرية ابن الاثنين. والاثنان هما إما والده غايا الذي كان أول ملك نوميدي، أو والدته التي كانت تتعاطى العرافة، أو أكثر من ذلك يمكن أن يعني إسم الإله بعل حامون والإلهة تانيت بني بعل اللذين كان يعبدهما[4]، ونفس الشيء ينطبق على يوبا الأول وابنه يوبا الثاني، ففي النقش الذي سبقت الإشارة إليه (C I L VIII, 20627) الذي تم فيه تقديم

---

(1) - Gsell (St.), H. A. A.N., T.6, P.132.
(2) - Camps (G.), Massinissa..., PP. 279 - 280.
(3) - Ibid., P. 298.
(4) محمد الصغير غانم، **الملكة النوميدية والحضارة البونية،....** ص.ص.71 – 73.

الدعاء إلى الإله يوبا Juba وفي نفس الوقت إلى جوبيتر " Jupiter " و" Dii ingirozglezim "[1].

يتضح من خلال النصوص الكتابية والنقوش البونية واللاتينية أن الأسباب الحقيقية للمكانة المتميزة للأموات وتأليههم بصفة عامة والملوك منهم بصفة خاصة تكمن في امتلاكهم ميزات تجعلهم محل تقدير بين الأحياء، فرواية هيرودوت تؤكد أن النسامون يقسمون بالأموات الذين يعتبرونهم أكثر عدالة وهم الأفضل[2] وينطبق نفس الرأي على ماسينيسا الذي يعتبره النوميديون قائدا منتصرا في الحرب، وموحدا للمملكة النوميدية[3]، وإغليدا عمل على استقرار السكان وتحضيرهم، مما جعله محبوبا من قبلهم في حياته ولا يستبعد أن يكون قد استحق تقديرهم بعد موته، لذلك أصبح ضريحه مزارا لهم[4].

ويمكن النظر بنفس المفهوم للضريح الجنائزي المخصص لاحقا لمسيبسا أين يظهر الطابع الديني واضحا، فهو يترجم حنين النوميديين إلى فترة السلم والأمن وتطوير البلد التي سادت كل نوميديا خلال فترة حكمه، خاصة أنه بعد موته، ووفاة ابنه مسيبسا دخلت البلاد في حرب ساد فيها العنف وانعدام الأمن[5].

مما سبق يتضح أن كلا من الموريين والنوميديين كانوا يحبون ملوكهم لدرجة التقديس، وأن العبادة كانت موجهة لأضرحتهم وذلك لأسباب نفسية واجتماعية تتسم بالطابع السياسي وفقا للدور البارز الذي لعبه الملوك النوميديون الأوائل في قوة وتماسك المجتمع والدولة[6].

---

(1) - Décret (F.)et fantar (M.), Op. Cit, P. 259.

(2) - Gsell (St.), H. A. A.N, T.6, P. 132.

(3) شارل أندري جوليان، **تاريخ شمال إفريقيا**، ترجمة محمد المزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969، ص. 199.

(4) - Camps (G.), Massinissa..., Op.Cit., P. 279.

(5) - Décret (F.) et Fantar (M.), Op. Cit, P. 258

(6) - Ibid.,P. 259

أمّا عن استمرار عبادة البشر في العصور اللاحقة،يرى كل من (ج. ش. بيكار)[1] و(س. جزيل)[2] أن المرابطية والزوايا تعود جذورها الباكرة إلى اعتقاد ليبي قديم، وهو يتمثل في تعلق الأفراد والجماعات بالأشخاص المفضلين الورعين في حياتهم، وبذلك يبدو الاعتقاد أن التبرك بهم مطلوب. ذلك لأنهم كانوا متميزين عن بقية الأفراد العاديين الذين يعتقدون بأن لهؤلاء الأشخاص القدرة على النفع والضرر.

كما تتخذ أضرحة المرابطين والأولياء الصالحين والزوايا أماكن للتجمع ويقدم الولاء لأصحابها والقسم بهم وغيرها من الممارسات وتعليل هذا الاستمرار حسبهما دائما أن المعتقدات الجديدة المتمثلة في دخول الإسلام إلى المنطقة المغاربية لم يلغ نظرة التقرب من الأولياء وإضفاء الاحترام عليهم، غير أن الحقيقة هو أن الإسلام شجب عبادتهم ذلك لأنها تدخل ضمن البدع والشعوذة.

لنا أن نشير هنا أنه لم يثبت بأي نوع من الأدلة أن الليبيين عبدوا الأفراد وهم أحياء، في حين أن التقدير للمرابطين وما يتصل بهم يتم وهم على قيد الحياة وبعد وفاتهم، كذلك يبدو أن هذا الموضوع الأخير يصفهم بالاحترام لا بالعبادة وبذلك فهو مخالف لما كان يختمر في أذهان المغاربة القدماء، كما يستلزم ضبط وتحديد المفاهيم الخاصة (البركة).

إن دراسة موضوع عبادة الأشخاص سواء كانوا ملوكا في العهود القديمة أو مرابطين في العصور الوسطى يقتضي وضعه في سياقه التاريخي والحضاري وإبعاد جانب القداسة عنه، لاسيما منذ ظهور ديانات التوحيد.

2- عبـــادة الأمـــوات:

لقد حظي بعض الأفراد خاصة الأموات منهم بنظرة متميزة من الأحياء، ويتضح ذلك من خلال جملة من الممارسات التي سجلّها الكتّاب القدامى أو النقوش والعمارة الجنائزية التي يكشف استقراؤها أن مفهوم العبادة هنا فهو نوع

(1) - Picard (G. Ch.), Op. Cit., PP. 16 -17.
(2) - Gsell (St.), H. A. A.N, T.6, PP. 129 - 130.

من التقدير والاحترام والمكانة المميزة وإلصاق بعض الصفات بهم كالقداسة والقدرة على النفع والضرر، وبشكل خاص للأموات وما تلك الممارسات إلا نوع من الخضوع لهم وربط الصلة بهم.

فعملية الدفن وما يرتبط بها من طقوس تعتبر تقديرا للأموات وذلك بحمايتهم من كل اعتداء[1].

كما اتخذ المغاربة القدماء من المدافن البدائية أماكن للقداسة [2]، ويفهم مما ذكره هيرودوت[3] عن بعض ممارسات النسامون في دعم الفكرة، حيث كانوا يقسمون برجال منهم عرفوا بكونهم الأكثر عدالة وهم الأفضل (أخيار) بملامسة قبورهم، كما كانوا يقصدون قبور أسلافهم وينامون عليها ويحتكمون إلى الحلم الذي يرونه أثناء نومهم عليها.

ويعتبر بعض المؤرخين مثل ج. كابيتو G. Caputo وج. كامبس (G.Camps) بأن قبور المنطقة الصحراوية المنتشرة من فزان إلى موريطانيا والتي تعود إلى فترة فجر التاريخ تدعم رواية هيرودوت، لإحتوائها على معبد صغير (Une Chapelle)، مثل تلك التي وجدت في "جرمة" في فزان، فهي قبر ومعبد في نفس الوقت، كذلك الشأن بالنسبة لقبور التيميلوس ذات القمم[4]، فقد كانت بدورها معابد تتم فيها

---

(1) - Gsell (St.), H. A. A.N, T.6, P. 436.

(2) رشيد الناضوري، **المدخل إلى التطور التاريخي للفكر الديني**، ص. 37؛ وكذلك ج. كامبس الذي يذهب إلى أن القبور الميجاليتية بالشرق الجزائري والعائدة إلى فجر التاريخ تمثل كل منها موقع اتصال مقدس، لمزيد من المعلومات أنظر؛ غانم محمد الصغير "المقبرة الميجاليتية ببونوارة الشرق الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، عدد.8، جامعة منتوري قسنطينة 1997، ص.166.

(3) - Hérodote, IV, 172.

(4) والتي توجد في نقرين Négrine جنوب النمامشة، وفي تاووز برابر Taouz Braber في تافيلالت وفي بئر أم قارن Bir oum Garn وفي ليبني Libnié في موريطانيا وتعود هذه الأخيرة للفترة ما بين القرن الأول والخامس بعد الميلاد. لمزيد من المعلومات أنظر؛

- Vernet (R.)et Mohamed (B.)Naffé, Dictionnaire archéologique de la Mauritanie, C. R. I. A. A., Université de Nouakchott, 2003, P. 43.

ممارسة طقس الرؤيا والتنبؤ بالمستقبل[1]، فالقمة تسمح بالاتصال والاقتراب من الميت دون اتصال مادي بعظامه إلى جانب أن التيميلوس بهذه المواصفات تنتشر في الصحراء أين كان يعيش النسامون الرحل[2].

وقد أشار البكري في القرن الحادي عشر بعد الميلاد إلى وجود هذه الممارسة في قبائل غمارة في شمال المغرب الأقصى الذين كان عندهم قوم يعرفون بـــ "الرقادة" في الأودية دون تحرّك "...فإذا أصبح اليوم الثاني أتى بعجايب مما يكون في ذلك العام من خصب أو جذب أو غير ذلك..."[3].

وتأخذ الظاهرة شكلا في تجلياتها في العصر الحديث حيث يذهب نساء الطوارق في الصحراء نهارا إلى قبور قديمة وينمن عليها لمعرفة أخبار رجالهن الغائبين[4]. بهذا يتضح أن العناية الموجهة للأموات ليس دافعها في كل الحالات الخوف من عودتهم وإيذائهم للأحياء، بل من مدلولاتها أيضا أن المغاربة القدماء نظروا إلى بعض الأموات كخيريين يتم سؤالهم عن المستقبل[5].

3- الطقـــــوس الـــجـــنائـــزية:

تمثل الطقوس الجنائزية مصدرا أساسيا لدراسة الجانب الديني بالمغرب القديم لانعدام الشواهد الكتابية المتعلقة بفترة ما قبل التاريخ وفجره[6] ولأنها شواهد مادية ترتبط بمفاهيمه الدينية والتي تسمح دراستها بالإطلاع على معتقداته، إلا أن

---

(1) ويفسر ليفي برول هذه الممارسة بـ "قانون المشاركة"

(2) - Camps (G.) , Massinissa..., P. 20.

(3) - Abou -Obeid El- Bekri, description de l'Afrique septentrionale, traduit par Guekim (M.), de slame , Litraini d'antique et d'orient, Paris 1965,P. 305

(4) - Gsell (St.), Textes relatifs..., P. 184.

(5) -Picard (G.), Op. Cit., P. 208 et suiv.

(6) محمد الصغير غانم، **التواجد الفينيقي-البوني في الجزائر**،(رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، نوقشت بمعهد التاريخ، جامعة الجزائر المركزية،الجزائر العاصمة 1981، ص.7.

الاعتماد في دراسة تلك المعتقدات على الجانب المادي بمفرده قد يؤدي إلى الابتعاد عن الحقيقة وإعطاء صورة مغايرة عن المعتقدات الجنائزية لإنسان المنطقة[1].

نقصد بالطقوس الجنائزية كل ما يدخل ضمن دائرة التعامل مع الأموات، من حيث طرق الدفن وكيفياته ووضعياته، إلى جانب الأثاث الجنائزي ومكانة الأموات ومجموع الأعمال المتعلقة بهم والتي يقوم بها الأحياء عن قصد، والتي تدل على أنهم يميزون من خلالها بينهم وبين بقية الحيوانات[2]، وتعود البدايات الأولى لاهتمام الإنسان بصفة عامة بهذا الجانب، إلى إنسان نيوندارتال العائد إلى العصر الحجري القديم الأوسط[3]، إلاّ أن الجانب العقيدي لا يتضح من خلال دراستها إلا ابتدءا من العصر الحجري الحديث[4] ويتضح من خلال دراسة بقايا المدافن أن إنسان المغرب القديم قد مارس الدفن في أنواع عديدة من القبور، كالكهوف "Les Grottes" الطبيعية أو الإصطناعية[5]، وقبور التيميلوس "Les Tumulus"[6]، وكذلك البازيناس والشوشة[7] العائدة إلى فجر التاريخ وهي تعتبر تطورا لنماذج من القبور الليبية الصرفة [8]. **(أنظر الشكل رقم: 7، ص. 41)**.

---

(1) نفسه، ص.7.

(2) - Camps (G.), Monuments et rites Funéraires , protohistoriques, éd. Arts et Métiers Graphiques, Paris 1961, P. 461.

(3) - Luquet (G. Ch.), la religion des hommes fossiles ,Masson, L'art et Cie Ed., Paris 1926, P. 171.

(4) رشيد الناضوري: المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، ص. 32.

(5) **الكهوف الطبيعية**: هي تلك التي سكنها الإنسان دون أن يقوم بأي تغيير فيها من الداخل، أما الاصطناعية فهي التي حول الإنسان في شكلها الداخلي، لمزيد من المعلومات أنظر: غانم محمد الصغير، التواجد الفينيقي البوني...ص.7.

(6) **تيميلوس**: يعرف كذلك بأسماء عديدة منها الرجم (Redjem) أو الكركور (Karkore) وهو قبر مخروطي الشكل يتواجد بكثرة بالمغرب القديم.

(7) **البازيناس (Basinas)**: قبور مستديرة تشبه القباب مبنية بالحجارة أو ترفق معها الأتربة، تظهر على شكل أكمات. أما قبور الشوشة فهي تشبه البازيناس لكنها تختلف عنها من حيث شكلها الخارجي الذي يكون اسطوانيا ولا يضم في الغالب إلا جثة واحدة ، لمزيد من المعلومات أنظر: غانم محمد الصغير: **التواجد الفينيقي البوني**... ص.ص. 8-16.

(8) شارل أندري جوليان، المرجع السابق ص.7.

يضاف إليها قبور الدولمن والحوانيت[1]، التي عرفها المغاربة القدماء بواسطة الاتصالات التي كانت تتم مع مناطق أخرى[2].

ومن المهم الإشارة إلى أن الطقوس الجنائزية عرفت تطورا بطيئا وتستعصي على كل ترتيب تأريخي Chronologique[3] كما أن تنوعها بين مناطق المغرب القديم قد يعود إلى عوامل جغرافية أو إثنية ويرى ج. كامبس أنها تنقسم إلى ثلاثة مجموعات أو شعوب مغاربية معروفة هي: الجيتول والموريون والنوميديون، لكن الحدود بين أنواع الممارسات الجنائزية غير واضحة، فلا تنفرد أي منطقة بطقوس خاصة بها تماما، فالتنوع لا يخفي الوحدة[4].



بازيناس تديس ذات الدفن الجماعي

الشكل رقم: 7

(1) قبور الدولمن: تسمى أيضا القبور المنضدية، وهي قبور بنيت فوق سطح الأرض تتكون في الغالب من ثلاثة أعمدة حجرية قصيرة تعلوها حجرة مدت في شكل أفقي، لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم: **التواجد الفينيقي البوني** ...ص. 29.

(2) غانم محمد الصغير. **التواجد الفينيقي البوني**، ص. 8.

(3) - Camps (G.), Monuments et rites funéraires..., P. 462

(4) - Ibid., P. 566.

يمكن أن نلاحظ في هذا المجال أنه يستدل من العظام البشرية التي عثر عليها في كثير من الكهوف وقبور البازيناس والدولمن وكذا الحوانيت العائدة إلى العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ وما بعدهما – بأن المغاربة القدماء كانوا يوجهون جثث موتاهم توجيها معينا وفقا لطقوس خاصة بهم[1].

يظهر ذلك التوجيه جليا للعيان في كل من مقابر كهوف لالة مغنية بالقرب من المويلح بالغرب الجزائري، حيث وجهت رؤوس الأموات نحو الغرب بينما مددت الجثة في حفرة الدفن على الجانب الأيمن وكانت أرجل تلك الجثة قد طويت ووجدت هناك صخور مبلطّة تحمي رؤوس وصدور الجثث[2]. **(أنظر الشكل رقم: 8 ص. 43).**

وقد توافر هناك بعض الرماد في المناطق المحيطة بالجثث المشار إليها مما جعل الباحثين يعتقدون بأن المنطقة كانت عبارة عن رمادية أو يمكن أن أناس تلك الفترة بدأوا يفرقون بين الكهوف السكنية والمناطق التي خصصت للدفن.

ويلاحظ بأن الجثة كانت غالبا ما تأخذ في حالات الدفن شكل الجنين عند وضعها في الحفرة، وفي كثير من الأحيان كانت الركبتان لا تلامس البطن، واليدان لا تلامس الوجه وإنما تبقى بعيدة عنه في شكل تعبدي يشبه طلب الفاتحة والتضرع في وقتنا الحالي.

وقد تطوى الجثث كلّية مثل تلك الوضعية التي عثر عليها الباحث دبروج (A.Debruge) في كهف الأرويـــة بقسنطينة والعائدة إلى الطبقة العليا من العصر الحجري الحديث وجدت عظامها ملتفة حول بعضها البعض مما جعلها لا تحوز إلا حيزا قليلا من أرضية الكهف[3]. **(أنظر الشكل رقم:9، ص.44).**

---

(1) - Faidherbe (J.), nécropole mégalithique de Mazela, Bull. de l'Académie d'Hippone, 1868, T. V, PP. 63 - 65.

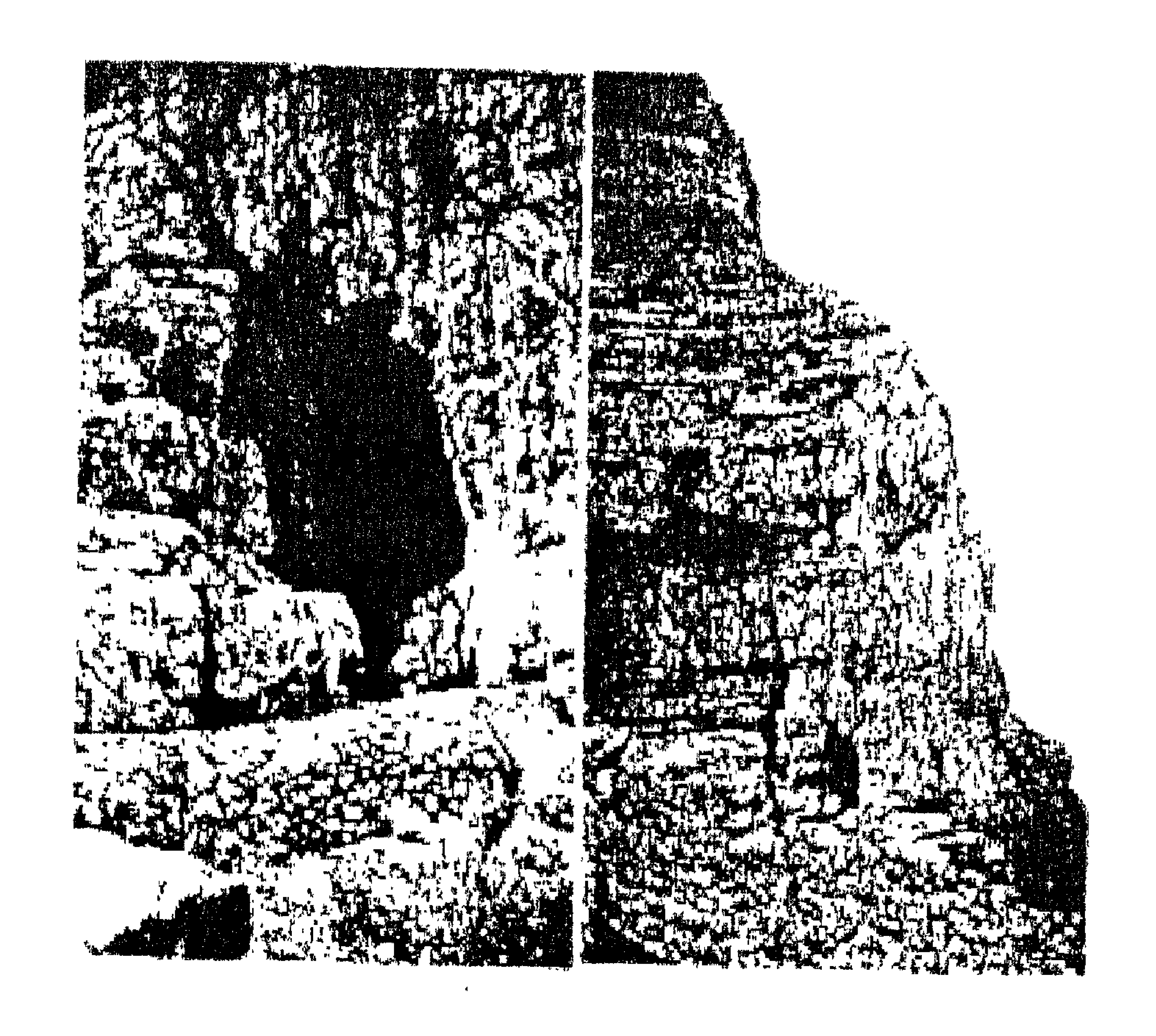
(2) - Ballout (L.), préhistoire de 43. ord, éd. Arts et Métiers Graphiques, Paris 1955, PP. 340- 343

(3) - Balout (L.), Algérie préhistorique, éd. Arts et Métiers Graphiques, Paris 1958, PP. 96- 97 et 130.



هيكل عظمي عثر عليه تحت رمادية تعود للإنسان القفصي، وقد دفن في شكل قرفصائي أو شبيه بوضع الجنين عند الولادة، غير أن يديه ممتدتان قرب وجهه وهي تدل على طقوس خاصة كان يمارسها الإنسان حينئذاك.

الشكـــل رقم: **8**



كـــــهف الدببة بقسنطينة

الشكل رقم: **9**

إلى جانب ذلك مارس المغاربة القدماء حرق الجثث والدفن الثانوي. أما بالنسبة لمقابر "علي باشا" الواقعة بالقرب من بجاية فقد عثر فيها على جماجم قطعت من بقية الجسم ودفنت في كوة خاصة، ثم تركت بقية عظام الجسم في حفرة تمثل دفنا طبيعيا[1].

ونفس الشيء يلاحظ في بعض مقابر حوانيت ركنية (Rokenia) وكهف جبل الطاية اللذين نقبهما الجنرال فيدارب (Le Général Faidherbe) بحيث جمعت الجماجم مع بعضها البعض في مكان واحد[2].

---

(1) - Camps (G.), Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara, éd. Doin, Paris 1974, P. 337.

(2) - Brahimi (C.), Initiation à la préhistoire de l'Algérie, éd. SNED, Alger 1978, P. 51.

ومن جهة أخرى يلاحظ أنه عثر على جمجمتين عائدتين إلى العصر النيوليتي (العصر الحجري الحديث) بقرب كل من وهران وتبسة وكهف الأروية العائد إلى نفس الفترة[1]. (**أنظر الشكلين رقم: 10، 11، ص ص. 46-47**).

إن هذه الأخيرة تدل على المعتقدات التي توافرت عند سكان المغرب القديم والتي مفادها أن طلاء الجثة بالأحمر يدل على استمرار سريان الدماء فيها. وفي رأيهم أنه كلما قاومت الجثة عوامل الاضمحلال كلما شعر الأحياء بالسعادة[2].

4- وضعيات الدفن:

أدت التنقيبات التي قام بها الأثريون في الكهوف والمدافن بأنواعها المختلفة باكتشاف وضعيات مختلفة للعظام البشرية،كالدفن الفردي والجماعي، وجعل الجثة في وضعية ممدّدة أو مطوية أو في وضعية الجلوس ووضعية القرفصاء إلى جانب خلط العظام والدفن الثانوي فقد تم العثور على عظام في حالة ممددة أو نائمة على أحد الجانبين الأيمن أو الأيسر في مواقع عديدة كمقابر الركنية وكهف لالة مغنية وغيرها. وهذه الوضعية تعتبر الأقل انتشارا[3] ويبدو أنها تعتمد قصد توفير الراحة للميت في رحلته الأبدية، أما اتجاه وجه الميت فقد كان في بعض الحالات يوجه نحو الشرق كما في قبور الركنية بالقرب من قالمة[4]، وقد يكون موجها نحو الغرب والجسم ممدد على الجانب الأيمن مثلما هو الأمر في كهف لالة مغنية بالغرب الجزائري والعائد إلى نهاية فترة العصور الحجرية.

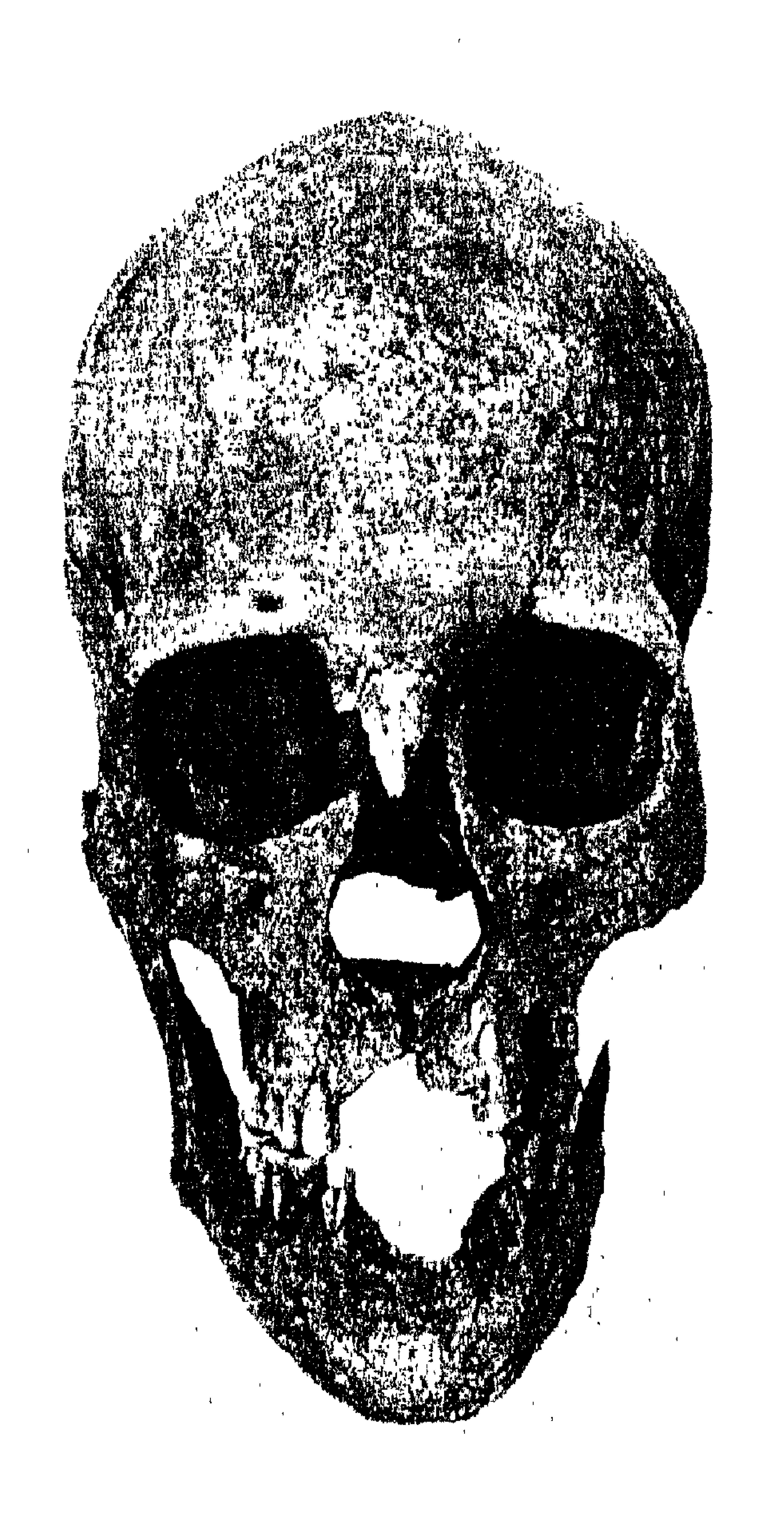
---

(1) - Faidherbe, «Nécropole Mégalithique de Mazela» dans B. A. H. 1867, P. 312.

(2) - Balout (L.), préhistoire de l'Algérie ... P. 96.

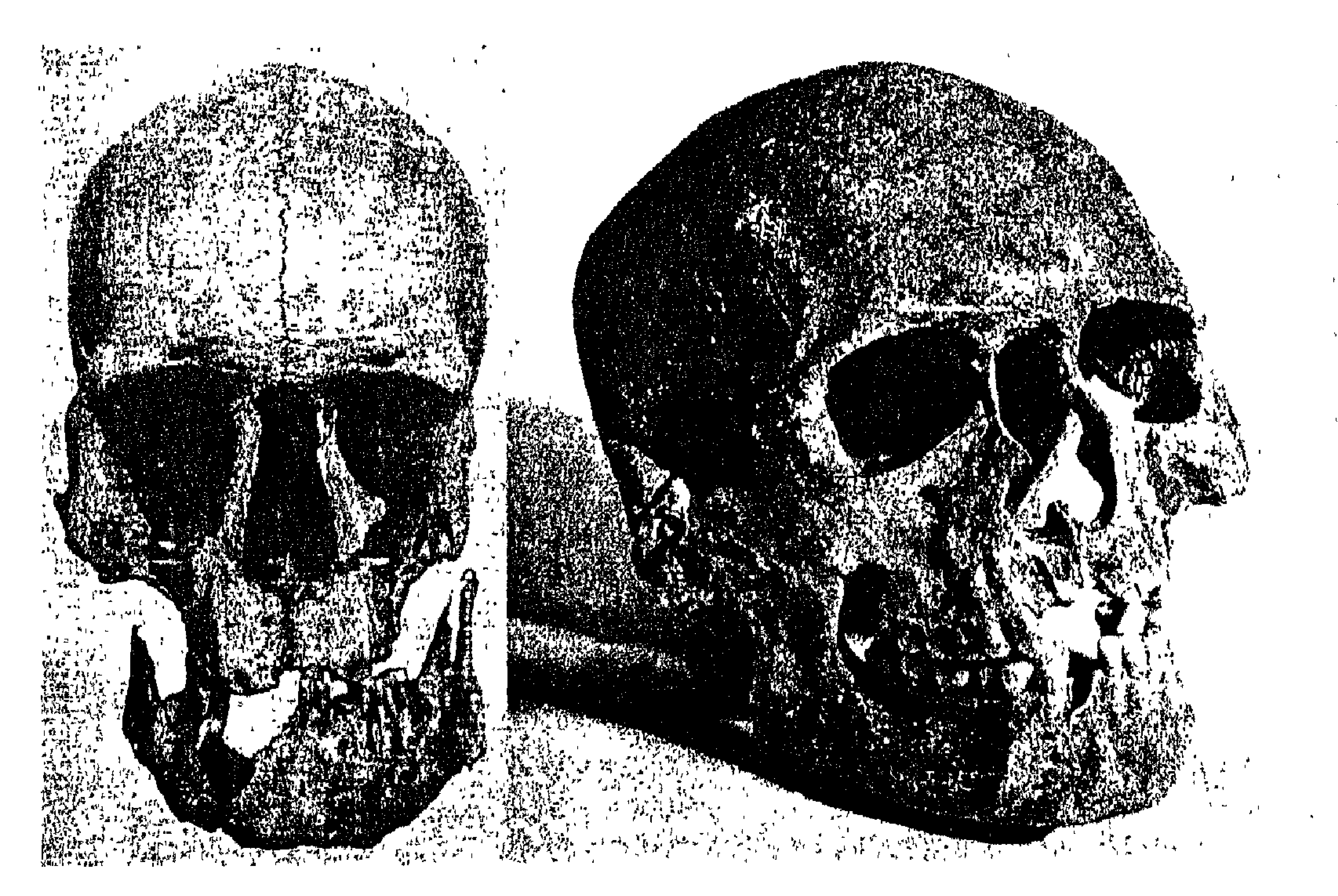
(3) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 80.

(4) - Faidherbe , recherches anthropologiques sur les tombeaux de Roknia, B. A.H. 1868, P. 39.



جمجمة بشرية يظهر عليها تشويه الأسنان السفلية وفقا لطقوس تعبدية كان يعتقدها الإنسان القديم

الشكـــل رقم: 10



جمجمة مثقوبة قصد تعليقها وفقا لطقوس تعبدية كانت متوفرة لدى الإنسان القديم

الشكـــل رقم: 11

وفي القرن الخامس قبل الميلاد يخبرنا هيرودوت أن النسامون كانوا يجتهدون في جعل المحتضرين منهم في وضعية الجلوس، ويمنعوهم من أن يلفظوا أنفاسهم وهم مستلقون على ظهورهم لكي يتم دفنهم على تلك الوضعية[1].

ويرى م.نافيل "M. E. Navill" وآخرون بأن الهدف من ذلك هو توفير الراحة للميت ومساعدته على الاستعداد لتناول طعامه[2].

وعلى العكس من هذا فقد عثر الأثريون على مدافن عديدة تم فيها خلط العظام أو نثرها ويعيد بعض المؤرخين مثل ج. ش. بيكار[3] وشارل أندري

(1) - Hérodote, IV, 190
(2) - Gsell (St.), textes relatifs..., P. 182.
(3) - Picard (G. Ch.), Op. Cit., P. 18.

جوليان[1]. هذا الطقس إلى خوف الأحياء من عودة ممكنة لأرواح الأموات وإيـــذائهم، فيكون نثر العظام لمنع الروح من إيجاد الجثة[2].

كما يتبين من الدفن الجماعي الأسري أن الصلة لا تنقطع بالموت بين الشخص والخلية الاجتماعية التي ينتمي إليها وهي الأسرة حتى وهو في العالم الآخر [3].

5- طقوس طلاء الجثث بالمغرة:

يعتبر صبغ العظام بالمغرة من الممارسات الشائعة عند المغاربة القدماء حيث تم العثور على بقايا جثث عليها آثار تلوين أحمر في تافورالت (Tafouralt) بالمغرب الأقصى التي تعود إلى العصر الإيبيرومغربي وفي الفترة العائدة إلى المرحلة القفصية[4]، وفي كهوف تعود إلى الفترة النيوليتية (الحجري الحديث) مثل كهف السرداب (La grotte de tranchée) قرب وهران، وفي الداموس الأحمر قرب تبسة، وفي كهف علي باشا ببجاية [5] كما يذكر هيرودوت.

أما الماكسيس Les Maxyes والجيزانت Les Gyzantes فقد كانوا يستخدمون المغرة[6] وقد استمرت الظاهرة خلال العهد البوني وحتى العهد الروماني[7].

كذلك استعمل اللون الأحمر في الحصول على مواد ملونة داخل قواقع الحلزون باستعمال الطين الأحمر[8] أو بقايا أكسيد الحديد (Hématique)، ويرى ج. كامبس

---

(1) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 80.

(2) ويفسر ليفي بروي هذا بـــ لا منطقية العقلية البدائية " فهي تستبعد التناقض لذلك فهي تقبل أن يكون الميت غائبا وحاضرا في أمكنة كثيرة في الوقت نفسه، لمزيد من المعلومات أنظر ؛

– فيلسيان شالي فيلسيان، **موجز تاريخ الأديان**، ترجمة حافظ الجمالي، ط.1، دار طلاس دمشق، 1991، ص.40.

(3) - Camps (G.) , Monuments et rites funéraires..., P. 436.

(4) - Ibid., P. 522.

(5) - Gsell (St.), H. A. A.N., T. 1, P. 272.

(6) - Camps (G.), Massinissa... ,PP. 22-23.

(7) - Camps (G.), et rites funéraires..., P. 522.

(8) - Picard (G. Ch.), Op. Cit., P. 18.

أن اللون الأحمر هو المهم مهما كانت نوعية المواد المستعملة في الحصول عليه(1)، فاللون الأحمر الذي تطلى به الجثة يدل على استمـــرار ســـريان الدم فيها، فهو يعوض الدم الحقيقي في اعتقادهم، والهدف منه حسب د. جوبير (Dr. Gobert) إعادة القوة للميت(2) ، أما س. جزيل فيرى أنه نوع من الزاد يتركه الأحياء للأموات(3)، ويضيف ل. بالوا (L.Ballout) بأنه في اعتقاد القدماء كلما قاومت الجثة عوامل الاضمحلال كلما شعر الأحياء بالسعادة(4).

كما يمكن أن تكون هذه الممارسة نوعا من تقديس الأحياء للأموات، ومن الممكن كذلك أن يستشف منه اعتقادهم في نوع من الحياة الأبدية.

ومهما تعددت الآراء حول تفسير ورمزية هذا الطقس فإن صموده في الاستمرار طيلة تلك المدة الطويلة تؤكد أصله المحلي، وأن عالمية ممارسته لدى البدائيين تخفي خصوصياته المختلفة إلى حد ما من شعب إلى آخر(5).

---

(1) - Camps (G.), Monuments ,Op.Cit., P. 522.

(2) - Picard (G.), Op. Cit., P. 18.

(3) - Gsell (St.), H. A. A. N., T. 1, P. 272.

(4) محمد الصغير غانم، بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب،....، ص. 63.

(5) - Camps (G.), Monuments et rites funéraires..., P. 522.

الفصل الثالث

العبادة الطوطمية

1. عبادة الكبش
2. عبادة الثور
3. عبادة القردة
4. عبادة الأسد
5. عبادة الثعبان

– العبـــادة الطوطميــة:

1– عبــادة الكبش:

يلاحظ فيما يخص عبادة الكبش وبقية الحيوانات الأخرى التي قدست في بلاد المغرب القديم، بأن المعلومات حولها كانت في كثير من الأحيان مقرونة بالنقوش والرسوم الصخرية[1].

ويرجع الفضل إلى هذه الأخيرة في تقديم المادة الأولية التي انطلق منها الباحثون في تفسيراتهم لتلك الرسوم،كل حسب ثقافته واتجاهاته الفكرية والمدارس الفنية التي ينتمي إليها.

ومن بين الرسوم التي قدسها المغاربة وقدموا لها الولاء نشير إلى رسوم الكبش الذي يحمل على رأسه دائرة لعلّها تشير إلى قرص الشمس. بالإضافة إلى بعض الزوائد الأخرى مثل القلادة في الرقبة وترك بقع من الصوف على الكتفين أو وسط الظهر، وكلها تدل في عمومها على الإشارة إلى عبادة كوكب الشمس والخصوبة المتعلقة بذلك[2]. **(أنظر الشكل رقم: 12، ص.54).**

وقد توافرت رسوم الكبش المغربي في كل من جنوب الغرب الوهراني في بوعلام زناقة (Bou Alm Zenaga) وقصر زكار وكذا الجلفة (في عين الناقة والصافي بورنان) وأيضا في منطقة أفلو بالأغواط[3].

يضاف إلى ذلك ما وجد في مناطق الشرق القسنطيني مثل خنقة بوحجار وكهف تسنغة[4].

---

(1) - Letourneaux(A.),« sur les monuments funéraires de l'Algérie orientale », archive für anth, 1868, P.314.

(2) - Gsell (St.), H. A. A. N. T. I, P. 226 et suiv.

(3) - Leglay Marcel, Saturne Africaine éd. E. de Boccard, Paris 1966, PP. 261-267 ;Germain (G.) ,le culte du bélier en Afrique du nord, hésperis 1948, P. 96.

(4) - Gsell (St.), H. A. A. N., T. I, P. 286.

وحول الإشارة إلى عبادة الكبش يذكر المؤرخ س. جزيل بأنه يكاد يكون لكل قبيلة ليبية كبشها المقدس الخاص بها وأن النظر إليه لم يكن في متناول الجميع، بل كان له كهنة يحيطونه بأساطير خيالية تضفي عليه هالة من القداسة وتجعله مهابا من قبل الجميع[1].

وقد استمرت عبادة الكبش في بلاد المغرب الأقصى وذلك حتى فترة العصور الوسطى حيث أشار أبو عبيد الله البكري إلى وجود تلك الظاهرة في زمنه[2].

ومن جهته يشير القديس أثناسيوس (St. Athnasieus) الذي عاش خلال القرن الرابع ميلادي بأن الليبيين كانوا يسمون الكبش الذي يعبدونه بأمون ! (أ. م. ن)[3].

أما المؤرخ جلود (Joleaud) فينقل عن ماكروب (Macrobe) بأن الليبيين كانوا ينعتون قرني الكبش بالإله أمون. ومادمنا لا نعرف نطق اللغة الليبية، فإننا قد نجانب الحقيقة إذا نطقنا الأحرف الثلاثة التي يحتويها رسم الكبش المغربي بأمون (أ. م. ن)[4].أو لا يمكن أن تعود (أ، م، ن) إلى اللهجات المحلية الأمازيغية المتوفرة في بعض مناطق المغرب القديم فننطق تلك الحروف الثلاثة بـــ "أمان" بعد أن نضيف إليها الحركات ويكون ذلك مراعاة للظـــروف المناخية الـــتي كـــانت تسود المنطقة الصحراوية حينذاك والمتمثلة في الجفاف وندرة المياه؟ وعلى ذلك فإن اسم الكبش أمون أو "أمان" يعني طلب المياه أي استنزال المطر الذي يحي الزرع والضرع وبه تقوم الحياة، أو أنه يمكن أن يعني السماء التي تسبح في فضائها الشمس! لاسيما إذا علمنا وأنه في غالب الأحيان كان يقف أمام الكبش المغربي شخص نحيف تتدلى خصلة شعره على أحد جانبي رأسه[5].

---

(1) - Gillette et Louis Le febvre, corpus des gravures et des peintures rupestres de la région de Constantine, éd. arts et métiers graphiques, 1967 , P. 233 et suiv.

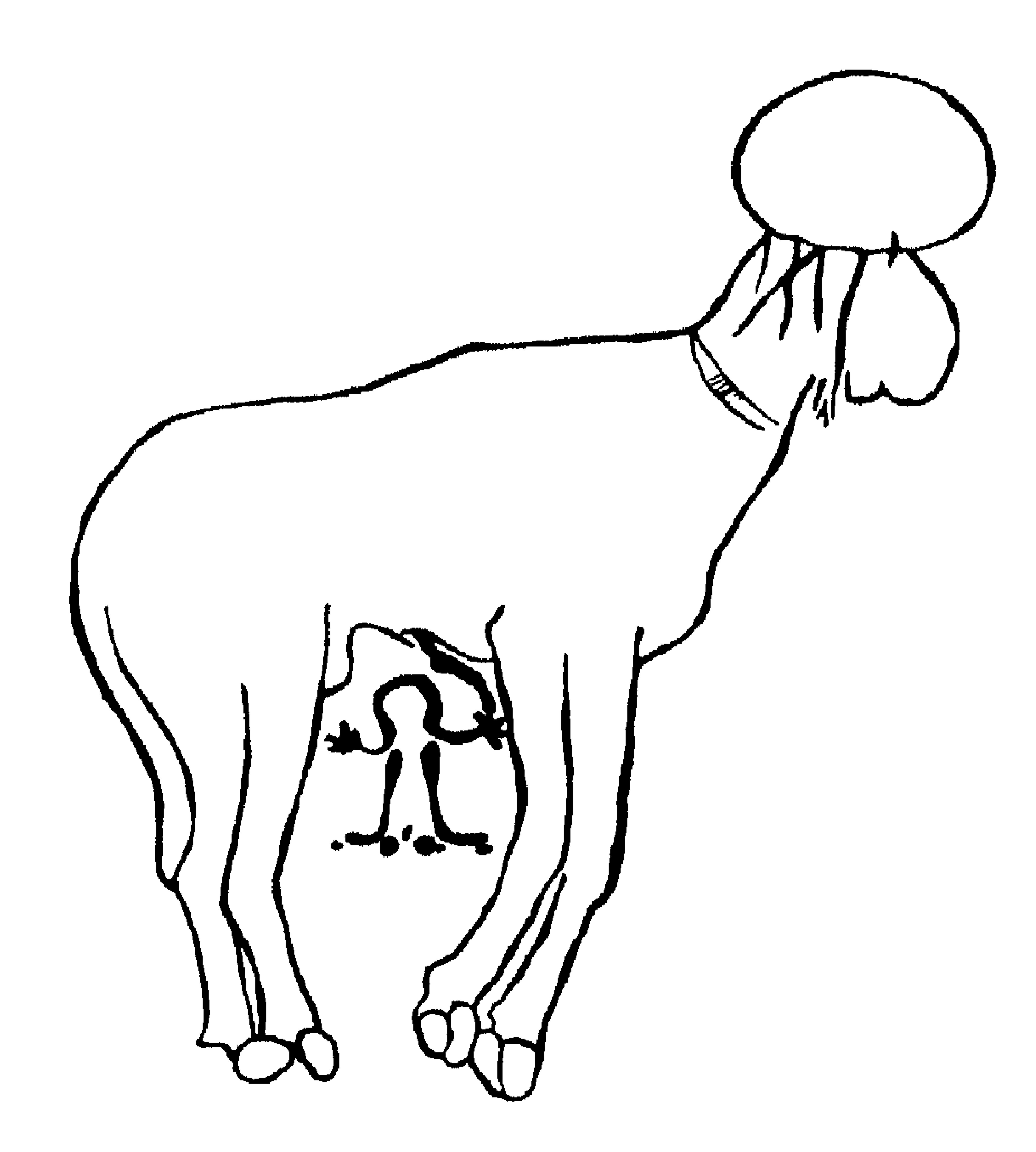
(2) - Gsell (St.) H. A. A. N. , T. I, P. 247.

(3) -IBID.

(4) - Leglay (M.), Op.Cit., P. 425

(5) - Leglay (M.), Op. Cit., P. 425.

هل يمكن أن نعتقد هنا أيضا بأن الكبش الواقف خلف الشخص المشار إليه هو عبارة عن قربان سيقدم للشمس التي نعتها المؤرخ الإغريقي هيرودوت بأنها المعبود الحقيقي لسكان المنطقة الليبية ويقصد بذلك كامل سكان شمال القارة الإفريقية الذين يلتقي معهم المصريون، لاسيما في واحة سيوة والواحات الغربية وكذا الأقوام السامية في كل من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشرق القديم؟[1].



صورة كبش يحمل على رأسه دائرة تشير إلى قرص الشمس، وقد عثر عليها بمنطقة الجلفة وهو يشير إلى عبادة الإله أمون

الشكـــــل رقم: 12

(1) - Chabot (J. B.),croix de textes de palmyre. Paris, 1922, P. 43 ; Cooke (G. A.), text., book of north- semitie inscription, P. 298 ; Hérodote, IV, 188.

2- عبــادة الثــور:

كان الثور من الحيوانات التي حظيت بتقديس الليبيين، إلا أن انتشارها كان اقل من عبادة الكبش[1] وتعود بدايات عبادة الثور إلى ما قبل التاريخ، يظهر ذلك من خلال رسوم الثيران التي وجدت بشكلين، منها البسيطة جدا بدون لواحق كتلك التي عثر عليها في تازورق بالهقار وفي سيلة (Sila).

أما الثانية فــهي الرسوم ذات القرص المجسد على الرســوم والنقوش الصخرية بــ"فزان" "والتبــستي" وبالطــاسيلي "ناجر" وجبال "أولاد نايل" والــشرق القســنطيني[2] ويــتــميز الــنقش الصخري الــذي يجسد رسوم ثيران وكبــاش "بوعلام زنــاقة" بالقرب من الأغــواط، أنه يوجد برأسهما قرص شمس يبرز منها خطان طويلان عمــوديــان يحتمل أنهما ريشتان أو شعا ع شمس مثل ذلك الذي ينبعث من الدائرة التي تعلو رأس الكبش[3].

وقد صعبّت النوعية الرديئة لهذا النقش من قراءته، والذي يمكن اعتباره في حالة ثبوته دليلا على فكرة قدم عبادة الثور ببلاد المغرب القديم[4].

إلى جانب هذا تم العثور على العديد من الدمى في جبال "تين هنكاتن " (Tin Hanakaten) بالطاسيلي ناجر، والتي حدث اختلاف حول الحيوان الذي يمثله "بقري" "bovidé" "صغير، كما يستنتج من ممارسة عبادة الثور بشمال إفريقيا وذلك من خلال كتابات أوماسيب (Aumassip) وغيرها من الذين درسوا الرسوم الصخرية أن هذه العبادة لها صلة بالأنثروبومورف Anthropomorphe.[5] أي الحيوانات المتألهة.

---

(1) - Picard (G. Ch.), Op. Cit., P. 11.
(2) - Leglay (M.), Op. Cit., P.423.
(3) - Gsell (St.), H. A. A. N., T.6, P. 128.
(4) - Décret (F.)et Fantar (M.), Op. Cit., P. 255.
(5) - Hachid (M.) ,Le Tassili des Ajjer (Aux Sources de l'Afrique 50 siècles avant les Pyramides, Paris , Méditerranée, 1998, P. 146.

كما يمكننا أن نستنتج ممارسة عبادة الثور بشمال إفريقيا من خلال ذكر المؤرخ الإغريقي سترابون Strabon لوجود حيوانات أسطورية في موريطانية تشبه الثيران، والتي تبدو في قوّتها وشكلها ونوعية حياتها تقترب من الفيلة[1].

وفي القرن السادس بعد الميلاد أشار الأديب البيزنطي كوريبوس Corippus إلى انتشار عبادة الثور بين القبائل الليبية في منطقة السرتين Les Syrtes منها قبيلة الأغواطن[2] (لواتة)، وقد كانوا يسمونه "قرزيل"، وهو ثمرة زواج "أمن" من بقرة،ومما يزيد من أهمية هذه الرواية الإشارة إلى أنهم كانوا يجسدون الإله قرزيل في ثور، يرهبون به أعداءهم في بداية المعركة ويعتبرونه كقائد لهم في الحرب[3]. **(أنظر الشكلين رقم: 13، 14، ص ص.57-58)**.

وفي القرن الحادي عشر ذكر البكري قبائل تبعد مواطنها عن طرابلس بمسيرة ثلاثة أيام بقوله "....ثم من قصر ابن ميمون ثلاثة أيام إلى صنم من حجارة مبني على ربوة يسمى كرزة ومن حواليه من قبائل البربر يقدمون له القرابين ويتبركون به في أموالهم إلى اليوم ومن هذا الصنم إلى ودان ثلاثة أيام [كذا]..."[4].

---

(1) محمد الصغير غانم، **الملامح الفكرية للعصر الحجري الحديث**، مجلة العلوم الإنسانية ع. 8 منشورات جامعة منتوري، 1997، ص.122.

(2) - Gsell (St.), H. A. A.N., T.6, P. 128.

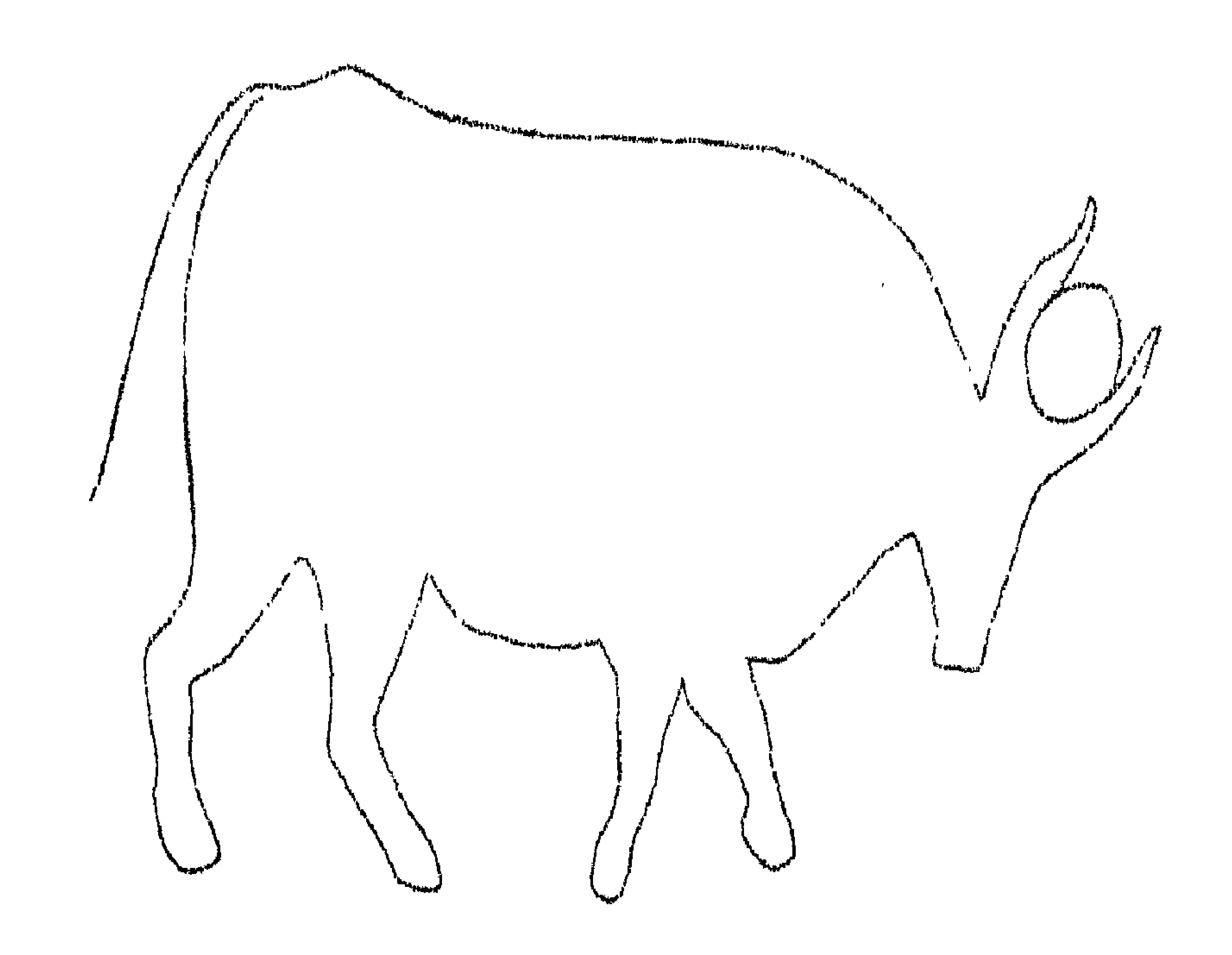
(3) - Décret (F.)et M. Fantar, Op. Cit., P. 255.

(4) - El- Bekri, Op. Cit., P.43.



صورة ثور مشخص على نصب تذكاري يجسد العبادة والتقديس

الشكـــل رقم: **13**



عجل يحمل بين قرنيه قرص يشير إلى عبادة قرص الشمس، وقد عرف تحت اسم الإله قرزيل، عثر على رسمه في ليبيـــــا

الشكـــل رقم: **14**

يتضح من خلال رواية البكري أن الصنم كان موضوع عبادة من قبائل تلك المنطقة، إلا أنه ينقصها تحديد شكل ذلك الصنم، هل يجسد ثورا أم غيره من الحيوانات، وقد دفـــع تشابه إسم "كرزة" الذي أورده البكري مع قرزيل عند لواتة الذي ذكره كوريبوس إلى الاعتقاد باستمرار عبادة الثور، خاصة مع وحدة المكان في الروايتين، إلى جانب وجود تجمع سكاني بين طرابلس وودان يحمل اسم "كيرزة"[1] حتى أيامنا هذه، وفي مطلع القرن التاسع عشر (1818) تضمنت رسالة القبطان و. هـــ. سميث "W.H.Smyth" إلى بارون زاشي (Baron de Zachi) وصفا لكيرزة يتحدث فيها عن بقايا أعمدة ونصب تمثل وجوها على

(1) - Décret(F.) et Fantar (M.), Op. Cit., P. 255.

الحجارة وغيرها من البقايا التي تنتشر على انحدار الهضبة، وقد لاحظ الكاتبتن سميث غياب الحشمة (الحياء) في كثير من تلك المجسدات التي يبدو أنها تمثل مشاهد وصور جنسية فاضحة مما يجعلها بناء على ذلك توحي بفكرة الخصوبة والمبدأ المخصب[1].

3– عبادة القردة:

يبدو أن القردة كذلك كانت موضوع عبادة في بعض مناطق بلاد المغرب القديم، فقد أشار ديودور الصقلي (Diodore de Sicile) الذي عاش في القرن الأول ميلادي إلى انتشار هذه العبادة في المنطقة الممتدة غرب قرطاجة[2]. وذلك عند حديثه عن حملة القائد الإغريقي أجاثوكليس (Agatocles) على المنطقة في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد.

فقد تعددت مظاهر تقديسهم للقردة، منها أن ثلاثة مدن كانت تحمل أسماء مأخوذة من كلمة "قرد" باللغة اللاتينية، كما كان الآباء يختارون لأبنائهم أسماء يستمدونها من أسماء القردة تبركا بها، إلى جانب أن القردة كانت تعيش مع أولئك السكان في مسكنهم وينظرون إليها كآلهة ويعملون على استرضائها بتقديم الزاد والأطعمة لها، وأبعد من ذلك فإن قتل قرد في تلك المنطقة يعتبر أحد مظاهر انعدام الرحمة وجريمة شنيعة يجازي مرتكبها بالموت[3].

ورغم أن في رواية ديودور الصقلي تفاصيل عديدة مهمة كتحديد مجال انتشار تلك العبادة وأشكالها، فإنه مقابل ذلك كانت هناك تجمعات سكانية وقبائل ليبية أخرى تأكل القردة، كما يخبرنا بذلك هيرودوت في إشارة غامضة

---

(1) - Ibid, PP. 256 - 257.

(2) وتضم تلك المنطقة في وقتنا الحالي على وجه التقريب طبرقة شمال تونس والقالة شمال شرق الجزائر، أي منطقة الفلين، لمزيد من المعلومات أنظر؛ محمد الصغير غانم، **بعض من ملامح الفكر الديني**.ص. 64؛

- Déodore de Sicile, XX, 58.

(3) - Gsell (St.), H. A. A. N., T.6, P. 245.

عن الجيزانت (Les Gyzantes)[1] سكان ليبيا الغربية (تونس حاليا) الذين كانوا يأكلون القردة التي تعيش في الجبال المحيطة بهم[2].

والجدير بالملاحظة هنا أن الوثائق المتعلقة بهذه العبادة متأخرة زمنيا، كما يمكن أن نستنتج منها أنه رغم القرب الجغرافي بين المنطقتين وتشابه الوسط الطبيعي فيهما، إلا أن نظرة ومعاملة كليهما للقردة متناقضة مع الأخرى، فإحداهما تأكله كالجيزانت وهو ما قد يجد تفسيرا له في حاجاتهم إلى تحصيلهم على الغذاء، في حين أن القبائل الأخرى تعبده، وهو ما نجهل أسبابه التي قد تعود إلى شكله أو صفات رأي أفراد ذلك التجمع السكاني أنها تستحق منهم عبادته، وهذا ما يؤكد تعدد المعتقدات الوثنية القديمة بتعدد القبائل والشعائر.

4– عبـــادة الأســـد:

لا يستبعد أن تكون ميزة الأسد كأقوى الحيوانات المتوحشة الإفريقية قد دفعت السكان إلى تقديسه، فقد وجدت صور كثيرة تمثله في الرسوم والنقوش الصخرية بالأطلس الصحراوي والشرق القسنطيني مثال ذلك كهف المصاورة بسدراتة نموذجا لذلك. كما تزيّن صور الأسد العديد من القبور الملكية مثل الضريح الموريطاني قرب شرشال وفي ضريح دوجة (Dougga) إلى جانب وجود صوره في معابد مكثر وبناياتها وخاصة منها لبدة الأسد (شعر العنق) بالنسبة للذكور منها والتي تربط بين هذا الحيوان المتوحش والشمس، فهناك من الآراء ما يعتبر الشمس والأسد شكلان لإله واحد، وأن وجودهما ينير قبر الميت[1].

(أنظر الشكل رقم: 15، ص.61).

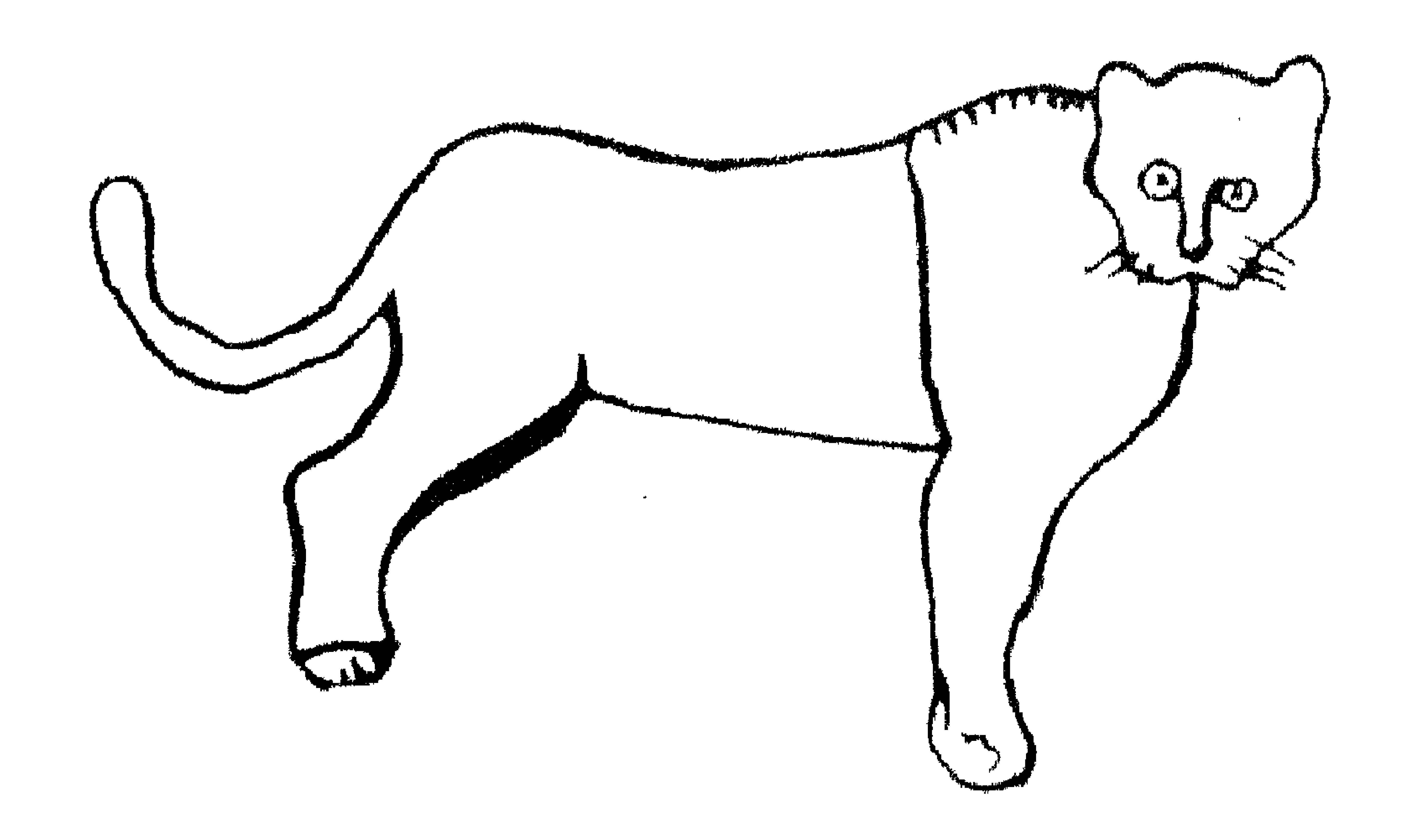
---

(1) - Hérodote, IV, 194.

(2) ويحدد س. جزيل مواقع تلك الجبال إلى الشمال من تونس وتمتد حتى حدود رأس بونة إلى الأعلى من هضبة أنفيدة الساحلية، لمزيد من المعلومات انظر ؛

- Gsell (St.), Textes relatifs, PP. 100- 101.

(3) - Camps (G.), Berbères aux marges de l'histoire..., P. 206.



أ- صــورة أســد ترمـــز للعبـــادة والتقديـــس



ب- صور ة لثعبان (حيّة) ملتف حول نفسه في الرمال

الشكـــل رقم: 15

5- عبـــادة الثعبـــان:

حظي الثعبان أو الحيّة كواحد من الحيوانات التي تنتمي إلى المملكة الحيوانية بالاهتمام والعبادة عند الكثير من الشعوب منذ أقدم الأزمنة وارتبط برمزية وصفات عديدة وأحيانا متناقضة[1]. (أنظر **الشكل رقم: 15 (ب)، ص 61**).

وقد يعود ذلك لهيأته المقلقة بالنسبة للإنسان[2] إلا أن الوثائق المتعلقة به بالنسبة للمغرب القديم تذهب إلى النقيض من هذا، فالمؤرخ أليان (Alian) يشير إلى أن قبائل البسيل Les Psylles في منطقة السرتين لهم تحالف مع نوع من الأفاعي ذات القرون، فهم غير حساسين تجاه لدغاتها، فلا يتألمون منها، وأنه حسب ما يقوله بقية الليبيين عن البسيل، فإن الرجل من هؤلاء لكي يتأكد من نسبة المولود الجديد إليه يعمد إلى طلاء صندوق أو قفة بدهان شمعي ويضع بداخله الثعابين ثم يلقي فيه المولود الجديد الذي إن هدأت الثعابين بمجرد لمس الطفل لها استنتج الأب من ذلك أن الطفل ابن حقيقي له. وقد دفع هذا س.جزيل إلى التساؤل حول إمكانية وجود علاقة بين اسم "البسيل" وهذا النوع من الأفاعي مثلما هو الشأن بالنسبة للقردة[3].

---

(1) حسن نعمة، موسوعة الميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت 1994، ص.21.

(2) فيلسيان شالي، **موجز تاريخ الأديان**، ص. 285، هامش رقم 01.

(3) - Gsell (St.), H. A. A. N., T.1 , PP. 246 - 274.

الفصل الرابع

عبادة قوى الطبيعة

1. عبادة الحجارة.
2. عبادة الجبال.
3. عبادة الأشجار والنبات.

- عبــادة قـــوى الطبيعــة:

1- عبــادة الحجــارة:

تعتبر ظاهرة تقديس الحجارة وتبجيلها ظاهرة عالمية، فقد انتشرت عند مختلف الشعوب منذ أزمان ما قبل التاريخ، ويمكن أن تكون تلك الحجارة من أي حجم كانت،كما قد تكون مفردة، أو في شكل كومة أو سلسلة من الأحجار، وقد تعبد في شكلها الطبيعي، أو تتدخل يد الإنسان أحيانا في تشكيلها، لكن غالبا ما حظيت أنواع معينة بالأفضلية عن غيرها، بسبب أشكالها أو ألوانها أو تكويناتها المتميزة[1].

وقد تعددت الآراء حول دوافع الإنسان في العصور القديمة لعبادة الحجارة، ويرجع ر. سميث (R. Smyth) اتساع انتشارها إلى أن لها أسباب مشتركة في الديانات القديمة البدائية[2].

ويحدد ر.ديسو R. Dussaud تلك الأسباب بأن الحجارة تستطيع أن تحتوي الحياة كالحيوان أو النبات، ولأنها لها القدرة على تشذيب إله الأرض كالشجرة، وكذلك لكون الحجارة أكثر انغلاقا وصلابة من بقية الأشياء التي يقوم عليها سطح الأرض[3].

أما د. جوبير في مقاله المطول عن الموضوع، فيعيد عبادتها لدى مختلف الشعوب لأنهم ينظرون إليها كسكن للأرواح أو الآلهة[4].

وترجع أقدم الأدلة على انتشار عبادة الحجارة بشمال إفريقيا إلى عصر الحجارة المشذبة العائدة إلى العصر الحجري القديم الأوسط من خلال الأحجار

---

(1) فراس السواح ، موسوعة تاريخ الأديان ، ج.1 ، ص. 27.

(2) - Gobert (Dr.), Essai sur la Litholatrie R. Afr. , 1948, P .37.

(3) - Ibid., P. 38.

(4) - Ibid., PP. 25-26.

ذات الشكل الكروي التي تم العثور عليها بموقع القطار El-Guettar بالجنوب التونسي[1]. (أنظر الشكل رقم: 16، ص.65).

وقد وجدت الحجارة ذات الشكل الكروي في المعابد الفينيقية، ولعل أهمها، ذلك الحصى الضخم من الغرانيت الذي عثر عليه في مكثر[2]، وهو ذو شكل دائري ولون رمادي يبلغ ارتفاعه 32 سم وسمكه 28 سم، ويحمل على أحد وجوهه خطوطا تمثل ملامح وجه بشري، لكن بآذان حيوانية، وعلى الوجه الآخر كتابة منقوشة بالبونية تسمح بتأريخها بالقرن الخامس قبل الميلاد[3].

كما تم العثور على حجر الغرانيت في المجال المقدس " لطفاية " (Tophet) قرطاجة، وكذلك في معبد كركوان Kerkouane البوني، وفي أقصى رأس بونة (Cap Bon) بتونس[4].



مزارة كانت محل تقديس وعبادة من قبل المغاربة القدماء

الشكـــل رقم: 16

(1) Ibid.; Carton , les sépultures anciennes de Tunisie, l'anthropologie, 1893, PP. 27 – 40 -

(2) يوجد حاليا في القاعة البونية من متحف باردو بتونس.

(3) Decret (F.) et Fantar (M.), Op.Cit, P. 253. -

(4) Ibid.; Picard (G. Ch.), Op. Cit., P.6. -

ويعيد د.جوبير اختيار الشكل الكروي للحصى لكونه يربط بمعتقدات الشعوب في عصورها الأولى بالرجم الذي تثبت ذكره في لا وعي الكائن البشري، الذي يبقى من خلال ذلك مرتبطا وبإخلاص بكل تجاربه الأولى، فالرجم كالحياة، والشكل الكروي للحصى يبدو أيضا أنه حظي بمسؤولية استقبال الحياة، وبذلك أيضا يستقبل المقدس[1].

ومن الجائز وجود تفسيرات أخرى لعّل أقربها مما سبق ارتباط الإنسان بفترة الرضاعة من ثدي أمه ذي الشكل الكروي تقريبا. واللافت للانتباه أنه إلى جانب الشكل الكروي فإن ألوان ووزن ونقاء الحجارة تعتبر أساسية كخصائص تميز الحجارة التي حظيت بالتقديس، لأنها بذلك تجلب النظر والمقدس[2]، وهي الخصائص التي تتوفر في الغرانيث.

إلى جانب الشكل الكروي تمت عبادة الحجارة في شكل عمود أو مسلة مثيرة، تمثل الرجل الواقف، أو عضو التذكير (Phallus)، الذي ينظر إليه كمستقبل للمقدس[3]، وعنصر أساسي للمعبد البوني ومن ابرز الأمثلة على هذا المسلة المكتشفة في موقع ثاروس (Tharros) الموجود في متحف جالياري (galiari) بسردينية، والتي لها شكل مخروطي نقشت عليه صور نساء عاريات يرقصن قرب العمود، ويحتككن به بهدف الحصول على المقدس، ومصادفة المبدأ المخصب الذي يسكنه[4].

وفي هذا يرى ج. ش. بيكار أنه بالاتصال مع الحجارة يتجند قسم من المقدس الذي تحتويه،وينتظر الإنسان منها تأثيرات خيّرة، كالشفاء من الأمراض والخصوبة عند النساء، ولتجنب فقدان المقدس الذي تحتويه الحجارة يتم سكب الزيت أو الدم عليها لتزويد قوتها[5].

---

(1) - Dr. Gobert, OP.Cit., PP. 96- 99.
(2) - Ibid., P.20.
(3) - Picard (G. Ch.), Op. Cit., PP. 5-6.
(4) - Decret (F.)et Fantar (M.), Op. Cit, P. 252.
(5) - Picard (G. Ch.), Op. Cit., PP. 5-6.

وفي بداية القرن الرابع ميلادي يقدم ارنوب (Arnobe) تفاصيل عن عبادة الحجارة قبل دخوله المسيحية في مدينة سيقا (Sicca Veneria) والتي تسمى الآن "الكاف"[1].

وبالاستناد إلى ما سبق يبدو أن عبادة الحجارة كانت لها أفضلية خاصة خلال القرون الميلادية الثلاثة الأولى بمنطقة مكثر بالجنوب التونسي[2].

وحتى أيامنا استمر تبجيل الحجارة من خلال وضع كرات حجرية وتكديسها على مصطبة في المزارة بالأرياف، بجانب أعطيات أخرى كالمصابيح ومجمرات البخور وعادة ما يتم مد عمود بشكل أفقي إلى أعلى من المصطبة تعقد فيه قطع وخرق القماش[3]. وقد أفاض الإيثنوغرافيون في وصف المزارات وطرق التداوي بالحجارة بالمزارت أو اتخاذ أنواع منها كتمائم[4].

يتضح مما سبق أن عبادة الأحجار كانت ظاهرة عالمية، مارسها سكان شمال إفريقيا شأنهم في ذلك ككل الشعوب في صورها الأولى وأنها أصلية بالمنطقة بإجماع أغلب الدارسين، حيث تعددت أشكال الحجارة التي حظيت بالتقديس وأكثرها ذات الشكل الكروي في شكل مسلة، كما تنوعت ألوانها وأحجاما ووجدت كذلك مفردة أو على شكل مجموعة.

إنّ قلّة الرسم والنقش على الحجارة خاصة ما يرجع منه إلى الفترة السابقة لقدوم الفينيقيين، كما لم يتم تشكيلها في شكل إنساني أو حيواني.

كذلك فإن توفر الأدلة الأثرية والكتابية على ممارستها منذ العصر الحجري القديم الأوسط وحتى العصر الحديث رغم اختلاف الدوافع وأشكال تقديسها في مختلف الفترات والتي تنقصنا عنها الأدلة والمعلومات الكافية خاصة فيما سيتعلق بتفاصيل العبادة والجانب الإعتقادي.

---

(1) - Gobert (Dr.), Op.Cit, P. 35; Paul Monceau, Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne, Ed. Leroux , Paris 1905, T. III, P. 253.
(2) - Leglay (M.), Op. Cit., P. 256-P.5.257
(3) - Picard (G. Ch) ,Op.Cit.
(4) - Gobert (Dr.), Op. Cit, PP .26 - 30 , 49 -55,59 – 67

2- عبـــادة الجبـــــال:

تمثل الجبال إلى جانب الكهوف العبادة الطبيعية الأولى بالمغرب القديم[1]، وقد يعود تبجيل الجبال لنظرتهم لها على أنها مساكن الألهة[2]، ويرى ج. كامبس أن ذلك يعود إلى أن شكلها هو الذي يجلب إليها القداسة، أو قد يذكّر ارتفاعها الإنسان بالسماء مقر كل إله قوي[3]، أما القديس أوغسطين فيذكر بأنه يتم ارتقاء الجبال لأداء العبادات لأن ذلك يعني لدى العبّاد بأنهم أقرب إلى الإله[4].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك آثار عديدة تدل على تقديس المغاربة القدماء للمناطق المرتفعة، ومنها النقوش الصخرية ذات الأدلة الدينية المتواجدة في جبال رحات " Rhat"وياغور "Yagor"بالأطلس الأعلى[5].

وعن جبال الأطلس يخبرنا "بلين" القديم (Pline l'Ancien) بأن الكتّاب الأفارقة في وصفهم لتلك الجبال يرون بأنه لا يرى بها أي ساكن خلال النهار، وكل شيء ساكن ويسود بها هدوء الصحاري الذي يبعث على الشك، وتنتاب خشية دينية أولئك الذين يتقربّون منه، أمّا في الليل فالأطلس يضيء بألف نار ويمتلئ بالمرح وبأصوات الطبول وباللهب، ويفـــسرّ ر. باسي (R. Basset) ذلك بأنه يمثل خروج الجنون التي تخرج خلال الليل في جلبة وضجيج[6].

ومن جهته تحدث بومبينيوس (Pomponius Méla) عن هذه الجنون التي تظهر ليس فقط في الأطلس في المنطقة التي تحيط بالساحل الجنوبي للقارة الإفريقية، إلا أن س. جزيل لا يرى فيما ذكره بلين القديم وبومبينيـــوس ميلا إلا صـــدى تحريفا للروايات القديمة التي يقدمها الأهالي، وأن الكتابة التي اعتمد

---

(1) حارش محمد الهادي ، **التاريخ المغاربي القديم (السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992، ص. 148.

(2) - Leglay (M.), Op. Cit., P.420.

(3) - Camps (G.) Berbères aux marges de l'histoire..., P. 195.

(4) - Saint Augustin , Sermones, XLV,7.

(5) - Camps (G.) Berbères aux marges de l'histoire..., PP. 195 - 196.

(6) - Gsell (St.), H. A. A. N., T.6, P. 134.

عليه لم تأخذ تلك الرواية إلا من نص رحلة "حنون" التي تغلب عليها الأدبيات الوصفية الخيالية إلى درجة التهويل في كثر من الأحيان [1].

أما ماكسيم التيراني (Maxime de tyr) فيؤكد بأن جبال الأطلس هي في ذات الوقت معبد وإله بالنسبة للّيبيين الغربيين[2]. وبالاستناد إلى الأدلة السابقة والنقوش التي تعود إلى الفترة الرومانية والتي تشير هي الأخرى إلى "جن الجبل" واختيار قمم الجبال لإقامة الطقوس الجنائزية وطقوس المطر، يخلص م. لوغلي M.Leglay إلى أن الأماكن المرتفعة يرتبط تقديسها بشمال إفريقيا قبل قدوم الفينيقيين[3].

3- عبادة الأشجار والنبـــات:

عبد المغاربة القدماء الأشجار لأنها في اعتقادهم تعتبر سكنا للمقدس[4]. وحول هذا الموضوع يذكر "أرنوب " في القرن الرابع ميلادي بعض الممارسات التي شهد السكان يمارسونها، فقد كانوا يربطون خيوطا وخرقا إلى بعض الأشجار وكان الهدف عندهم من وراء ذلك هو ممارسة ذلك الطقس التعبدي الذي يتمثل في طرد الأرواح الشريرة[5]، وقد استمرت هذه الظاهرة حتى عصرنا الحالي[6] ففي منطقة عين الدراهم ناحية "فريانة "بتونس توجد شجرة عملاقة يسميها السكان "لالة فرنانة" يعتبرونها مقدســة ويقصــدونها عند الحاجة ويربطون خيوطا أو قطعة من الثيــاب متلفظين بأمنية لهم أو لبعض أقاربهم، فضلا عن أن لا أحد يجرأ على إيذائها أو اقتلاعها أو قطع فروعها[7]. **(أنظر الشكل رقم: 17، ص.70).**

---

(1) - Ibid.

(2) - Maxime de Tyr, VIII,7.

(3) - Leglay (M.), 0p. Cit., P. 420.

(4) - Picard (G. Ch.), Op. Cit., P. 10.

(5) - Ibid.

(6) تعرف هذه الظاهرة انحصارا وتراجعا ،ولذلك تعد ممارساتها مقتصرة على مناطق معينة وفئات محدودة من البشر

(7) - Décret (F.)et M. Fantar , Op. Cit, P. 251.

وكذلك الشأن بالنسبة "للسدرة" المرابطة ببعض المناطق الجزائرية(1)، ويمثل ربط الخرق والخيوط بالشجرة التزاما من الشخص بعبادتها والتبرك بها.



شجرة ترمز إلى العبادة والتقديس وفي الأسفل منها تلوح كومة من الحجارة تمثل مزارة

الشكـــل رقم: 17

(1) محمد الصغير غانم، بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب القديم.ص. 64.

كما يلاحظ أن أنواع الأشجار التي تم تقديسها متنوعة فمنها: شجرة الزيتون والكرمة ثم النخلة والسدرة. وغيرها[1]، وقد يعود ذلك لخصائص تتوفر فيها،أو لأن الإنسان يدين ببعض الأغذية التي يستهلكها من هذه الأشجار المشار إليها[2]. ويمكن انطلاقا من هذا المفهوم تعليل اختلاف أنواع الأشجار المقدسة باختلاف المناطق الجغرافية، أو لأن الأشجار تمثل شكلا من أشكال الحياة تسمح بتجددها، فارتبطت من خلال ذلك بفكرة الخصوبة، لذلك نجدها قريبة من آلهة الأرض – أي الإلهة الأم – آلهة الإنبات مثل الإله تموز "Temuz" في بلاد ما بين النهرين وأتيس (Attis) وأدونيس "Adonis" في الحضارة الإغريقية والبعالم عند الكنعانيين، ويمكن أن نضيف إليها الإله أوزيريس "Osiris" المصري[3].

والجدير بالملاحظة أن هذه الممارسات ليست خاصة بشمال إفريقيا، فقد عرفت حضارات أخرى ممارسة عبادة الأشجار، لذلك احتلت الشجرة عند الساميين مكانة مرموقة كما تؤكد ذلك النصوص والرسوم في الأدب الرافدي، وما ورد في الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والقرآن، ورغم العلاقات التي جمعت بين المنطقتين منذ أقدم العصور فلا شيء يسمح باعتبارها ممارسات وافدة من المشرق[4].

هل يمكننا بعد هذا العرض لعنصر الديانة المحلية أن نتساءل عن وجود آلهة مغاربية في المنطقة يسهر على خدمتها كهنة، غير أولئك الذين كانوا متأثرين بالعبادات المصرية والسامية ثم القرطاجية والإغريقية الرومانية؟.

---

(1) عبد الجليل الطاهر، **المجتمع الليبي (دراسات اجتماعية وانثروبولوجية)** ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت 1969، ص.172.

(2) فليسيان شالي، المرجع السابق؛ ص.285.

(3) نفسه، ص. 287.

(4) - Décret (F.) et Fantar (M.), Op. Cit., P. 252.

هل لنا أن نبحث عن هذا المجمع المشار إليه في المناطق الداخلية من بلاد المغرب القديم والتي يمكن أن تكون قدَ أثرت دون أن تتأثر بالآخرين؟.

هذا ما يمكن أن نحاول الإجابة عليه عند انكبابنا على إعادة قراءة مدلولات الرسوم الصخرية التي ظهرت على النصب الحاملة لهذه الأخيرة وأيضا التركيز على دراسة آثار ما قبل الفترة الرومانية التي لا تزال تخبئ الكثير، لاسيما فترة الامتزاج الليبي – الفينيقي وما نتج عنها من امتزاج حضاري في المدن والمحطات الساحلية والمناطق الشمالية القريبة منها.

وقد تمثّل ذلك الامتزاج في النصب والمعابد التي أقيمت للإلهين بعل حامون والإلهة تانيت بني بعل في كل من قرطاجة وسوسة بتونس وسيرتا بالجزائر، ولا تزال آثارها شاهدة على ذلك في واجهات النصب التي عثر عليها في المناطق المشار إليها. **(أنظر الشكل رقم: 19، ص.74)**.

يضاف إلى ما سبق تأثير العبادة المصرية التي وجدت بقاياها هي الأخرى المادية ذات المحتوى المعنوي منتشرة في الحواضر المغاربية القديمة مثل أوتيكا وقرطاجة بتونس وشرشال وبعض محطات الغرب الجزائري التي تمثلت بقاياها في تماثيل التمائم والعنخ والأختام وكذا تمثال الإلهة حتحور إلهة الحصاد عند المصريين القدماء وكذا الإلهة إيزيس(1). **(أنظر الشكل رقم: 18، ص.73)**.

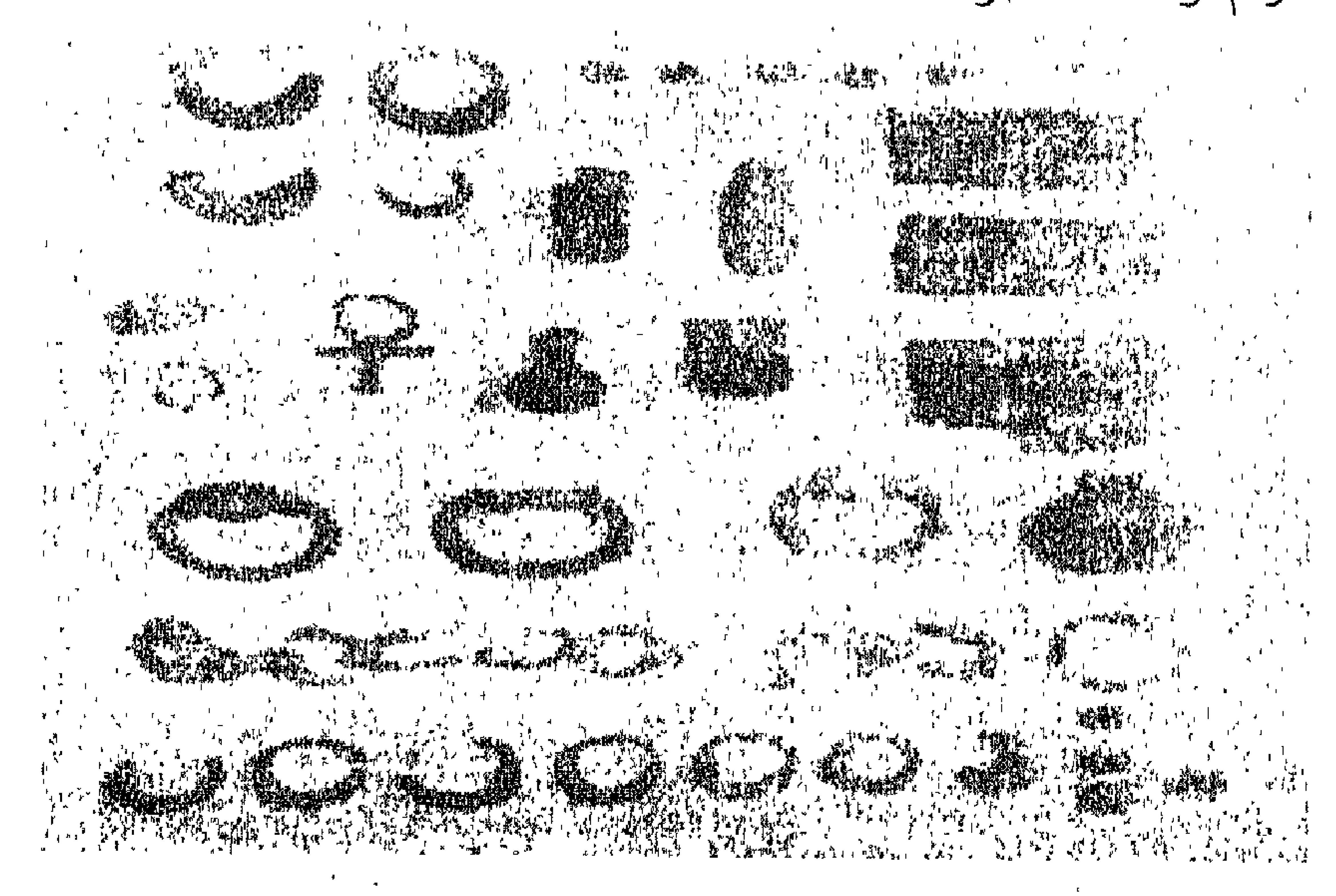
وحتى لا أتجاوز إطار الديانة المحلية الوثنية المغاربية، فإنني أؤكد صعوبة هذا الموضوع ما دام غير معتمد على نصوص وأساطير دينية مكتوبة مثل ما وجد في منطقة الشرق القديم، أو كتب سماوية مثل التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، غير أن هذا لا يمنع من وجود ملامح هذا الفكر الديني الوثني مجسدة في عبادة قوى الطبيعة، وعلى الدارس أن يتتبعها شيئا فشيئا ثم يستنتج منها الأهداف التي كانت تمثلها والمكانة التي كانت تحتلها في حياة الإنسان المغربي القديم وذلك

---

(1) - Vuillemot (G.), Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie , éd. Autin, 1965, PP. 86 – 89.

حتى يجعلها في متناول القارئ، أو يلفت انتباهه على الأقل، إلى أنّ الإنسان المغاربي منذ أن لبى غرائزه الطبيعية مثل الأكل والشرب والتناسل بدأ يفكر في العالم الآخر وعبّر عنه بطريقته الخاصة المتمثلة في قوى الطبيعة المحيطة والمستمدة منها، وذلك بغية التقرّب من القوى الخيّرة في هذا الوجود التي تجعله يطمئن على حياته ويبتعد عن الأرواح الشريرة التي كانت كثيرا ما تكدّر صفو حياته ويتخيل بأنها تطارده في كل مكان.

و لم يطمئن الإنسان المغربي القديم إلاّ بعد أن اتصل كما ذكرت بحضارات الشرق القديم التي اعتمدت على الكتابة منذ نهاية الألف الرابعة ق.م،وبذلك بدأ يقارن ما هو عنده بما هو مستورد ثم تطّور شيئا فشيئا في هذا المجال إلى أن وصل إلى عبادة ديانة التوحيد التي كانت منطلقاتها هي الأخرى مشرقية. سواء أكانت آتية من بيت المقدس مثل التوراة والإنجيل أو من مكّة المكرمّة بالنسبة للقرآن الكريم والسنّة النبويّة[1].



مجوهرات وتمائم بونية، عثر عليها في قبور جزيرة رشقون بالجزائر

الشكــــل رقم: 18

(1) - Vuillemot (G.),Op. cit., PP. 86 – 89.



صورة للإلهة تانيت

الشكل رقم:19

الباب الثاني

ملامح الطقوس الدينية والمعبودات الأجنبية الواردة إلى المنطقة

الفصل الأول

الأساطير والمعبودات المصرية الوثنية في بلاد المغرب القديم:

1. الإله آمون
2. الإلهة إزيس
3. الإله أتون
4. الإلهة ست
5. الإلهة حتحور

الفصل الثاني

- الأساطير والمعبودات الفينيقية البونية في بلاد المغرب القديم:

1. الإله بعل حامون
2. الإلهة تانيت
3. الإله بعل إدير
4. الإله ملقارت (ملقرط)
5. الإله أشمون

الفصل الثالث

- الأساطير والمعبودات الإغريقية الوثنية في بلاد المغرب القديم:

1. الإله زيوس
2. الإله بوسيدون
3. الإله تريتون
4. الإلهة أثينة

الفصل الرابع

- الأساطير والمعبودات الرومانية الوثنية في بلاد المغرب القديم:

1. الإله ساتورن
2. الإلهة كايلستيس
3. الإله إيسكولاب
4. الإله جوبيتر
5. الإلهة ديانا
6. الإلهة فنوس
7. الإله مارس
8. الإلهة مينيرفا
9. الإله مركور
10. الإلهة جونون
11. الإله أبلون
12. الإله باكوس
13. الإله نبتون
14. الإله ديونيسيوس
15. الإلهة سيراس
16. الإله بلوتون

الفصـــــل الأول

الأساطير والمعبودات المصرية الوثنية في بلاد المغرب القديم:

1. الإلـــــه آمـــــون
2. الإلهـــــة إزيـــــس
3. الإلـــــه أتـــــون
4. الإلـــــهة ســـــت
5. الإلـــــه حتحـــور

- الأساطير والمعبودات المصرية الوثنية في بلاد المغرب القديم:

1- الإلــه آمــون:

يأتي على رأس الآلهة المصرية التي إحتك بها المغاربة القدماء الإله "آمون" "Amon" [1] معبود واحة "سيوة"[2] بغرب مصر و"طيبة" بالصعيد المصري وغالبا ما يمثله

كبش يعلو رأسه قرص الشمس[3]، وهو من أشهر الآلهة الكونية لمصر القديمة والصحراء الجزائرية، حيث وجدت له صور في الرسوم الصخرية الصحراوية[4]. وقد استمرت عبادته في شمال إفريقيا وبقي مرتبطا رغم تطوره بمعتقده القديم (الشمس)، فكان يسمى (آمون-رع) عند المصرين و(أ. م. ن)[5] عند المغاربة القدماء، لا سيما في المناطق الصحراوية التي يقل فيها الماء الذي يعتبر شريان الحياة حين ذاك.

وقد صوّر الإله "أمون" بأشكال متعددة،حيث أعطاه المصريون شكل جعل (جعران) هو خير رع الذي يدفع قرص الشمس فوق صفحة السماء،كما يفعل نظيره على الأرض عندما يدحرج كرة (الروث).

وسمّاه المصريون أيضا باسم "حور" أو "حرّ" بمعنى العالي أو البعيد، يشرف عليهم ويرعى أمورهم ويعنى بأمور الشرق، لذلك لقبوه بـــ "حور أختي" بمعنى

---

(1) - Leglay(M.),Saturne Africain, T.,Histoire,éd. De Bocard,Paris, -1966,P.425.

(2) سيوة: هي واحة تقع إلى الغرب من النيل بمصر وقد ألحقها هيرودوت في خريطته بليبيا التي كانت تمتد من غرب النيل شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، لمزيد من المعلومات أنظر؛
- Hérodote ,Textes relatifs...,T.IV,Paris, 1916.

(3) -Gillette et Louis ,Lefébre corpus des gravures et des peintures rupestres de la région de Constantine, éd. Arts et Métiers Graphiques, 1967,P.233 et suiv. Paris

(4) - Henri Lhote,Vers d'autres tassilis,ed. Arthaud,Paris ,1977,P P.40-47 Camps (G.), La civilisation préhistorique,de l'Afrique du nord et Sahara,éd.,doin,Paris,1974. P.328 du

(5) - Basset (R.), Recherche sur la religion des berbéres, R. H. R., Paris, 1910,P.203.

"حور الشرقي"[1]، ثم زاوجوا بينه وبين إله الشمس "رع "فدعوه "رع حور أختي" وصوّروه على شكل صقر سماوي يضع قرص الشمس على رأسه، كما صوّر على شكل إنسان برأس صقر يوجه الكواكب أمامه. (**أنظر الشكل رقم:20، أ، ب، ج، ص. 80**).

وفي أسطورة الخلقية الهيليوبوليتانية وردت له تسميات عدّة منها (أتوم- رع) وفي البداية ظهر الإله أتوم في المياه الأزلية (نون) وعند ظهوره سمي الإله رع.وقد اعتقد الفراعنة أنّه يرمز إلى الغد لأنّه يدل على تجدد شروق الشمس يوميا[2].

واعتبارا إلى أن القبائل الليبية كانت تتوضع فيما بين وادي النيل شرقا والمحيط الأطلسي غربا،فقد احتكوا بعبادة آمون المصرية في واحة "سيوة" وقدموا له النذر والقرابين وقاربوا بينه وبين عبادة الكبش والثور التي ظهرت على الرسوم الصخرية في كل من الجنوب الوهراني وجبال أولاد نايل وهضاب الهقار والطاسيلي والشرق القسنطيني بالجزائر ثم فزان بليبيا[3].

---

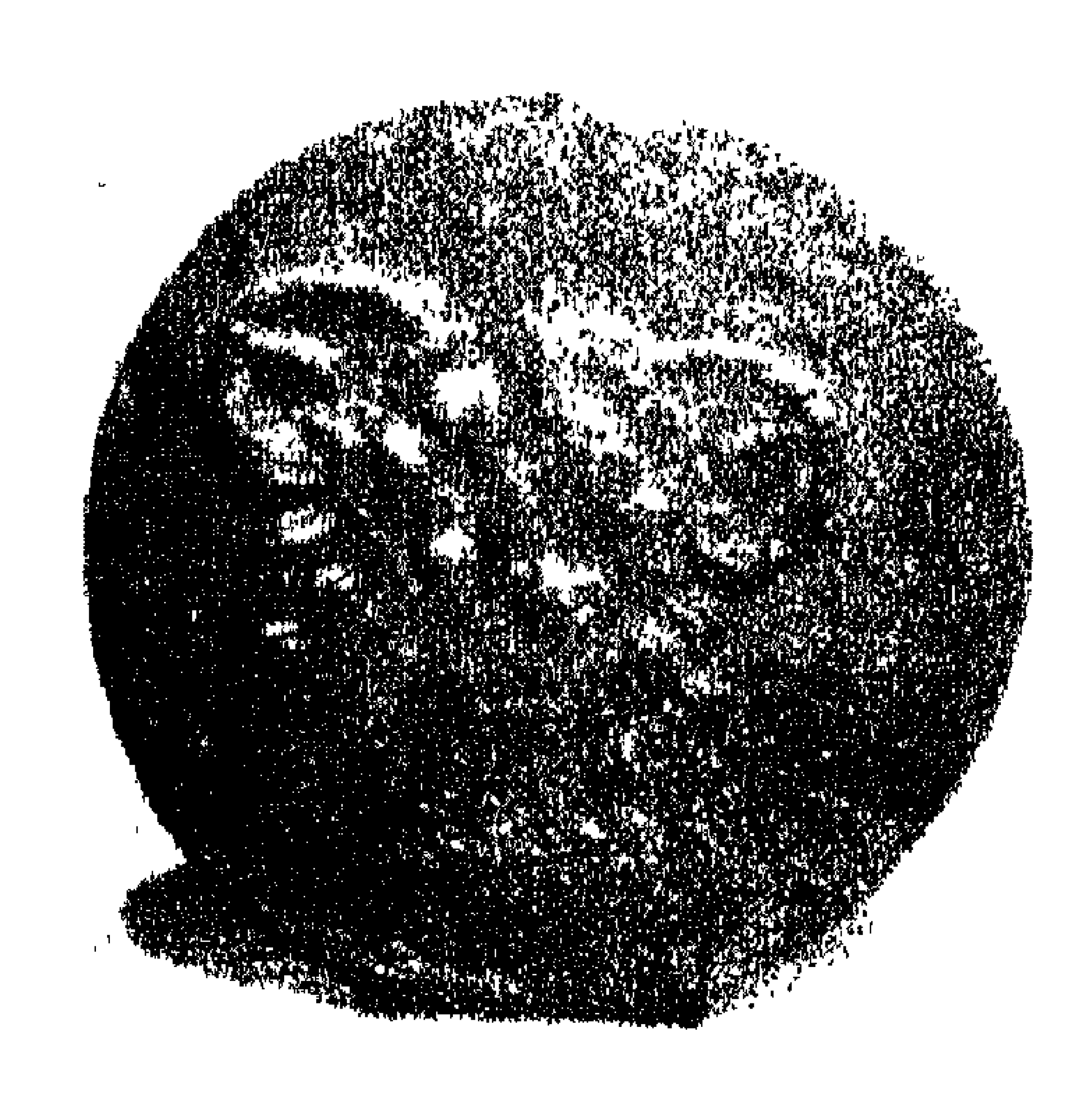
(1) **حور الشرقي**: كان إلها مصريا، يصور في شكل صقر سماوي يضع قرص الشمس على رأسه، كما صور أيضا على هيئة إنسان برأس صقر ؛لمزيد من المعلومات انظر؛
– عبد العزيز صالح،**تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق ومصر)**، ج1، طبعة 2، مكتبة أنجلوا المصرية، 1974، ص ص. 301-302.

(2) - Derioton (E.),& Vandier.(J) ,Les peuples de L'orient méditerranée Egypt. 4eme,éd., augmentée, Paris,presse universitaire de France, 1962.P.375.

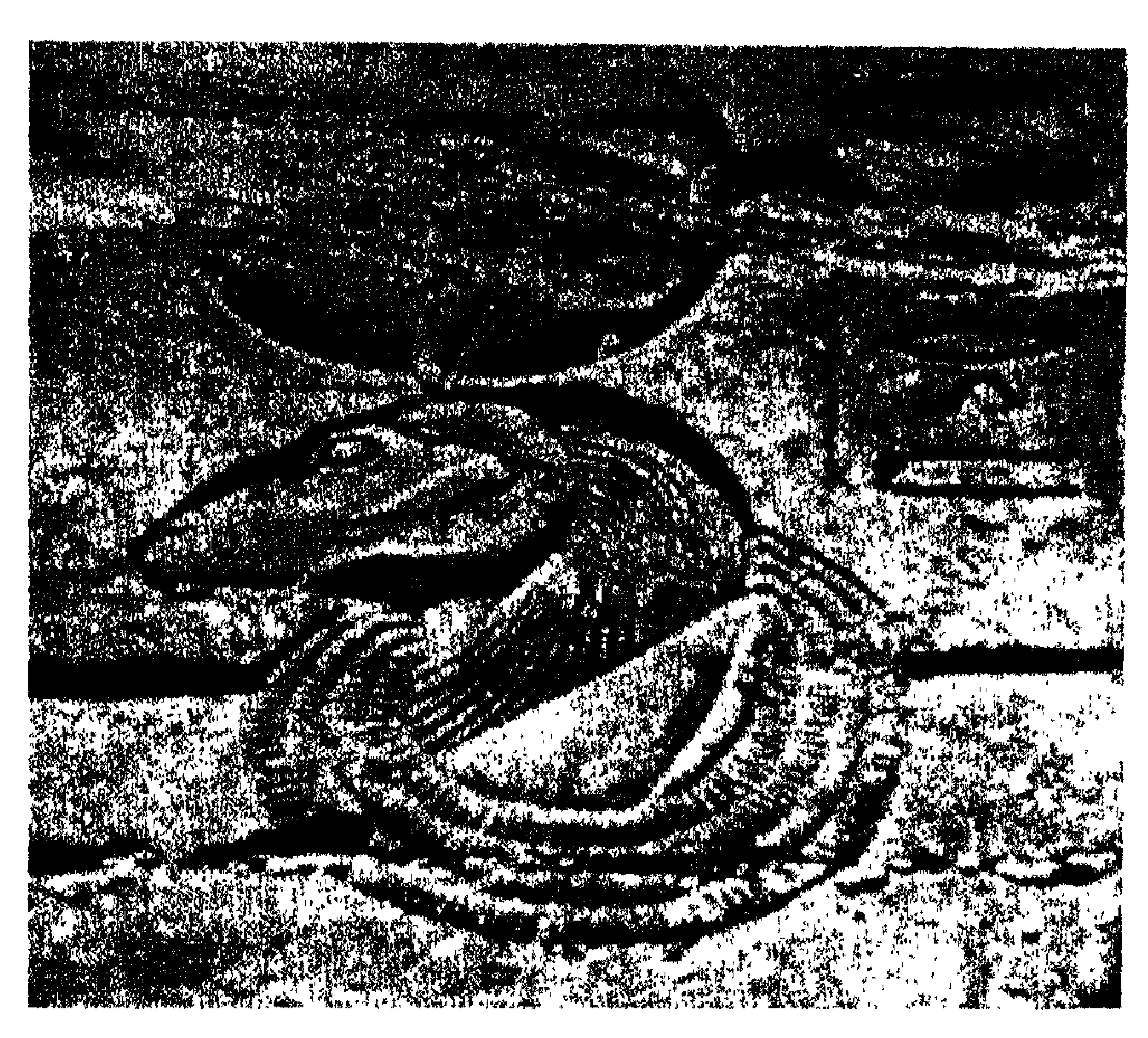
(3) - Henri lhote, Vers D'autres tassilis,éd.,Arthaud,.1976, P P. 7- 55.



أ- صورة للإله آمون



ب- صورة للإله آمون



ج- صورة للإله "أمون رع"

الشكـــــل رقم: **20**

2- الإلهـــة إزيـــس:

الإلهة "إزيس" "Isis" إلهة مصرية قديمة،تعتبر زوجة الإله "أوزوريس" "osiris"،وأم للإله "حورس" "Horus"، وقد كان الليبيون يعبدونها،ذلك أن عبادة سخت-حور كانت منتشرة بين الليبيين، مما يدعو إلى القول أنّ حور الليبي أرضعته البقرة "سخت"، وبذلك استمرت عبادة إزيس منتشرة على مرّ الزمان في منطقة ليبيا القريبة من مصر.وقد امتدت عبادة إزيس حتى برقة بليبيا تحت إسم الإلهة "حتحور" "Hathor" .

كما عثر على كتابة رسم الإلهة أزيس في النصوص البونية بقرطاجة تحت اسم "إيس"، وهناك من القرطاجيين من سموا أبناءهم عبد إيس تيمنا بالإلهة إزيس المصرية التي يعتقد أنها كانت ترعى النساء والحب والزواج[1].(**أنظر الشكل رقم: 21، أ،ص.83**).

ولكثرة التعلق بعبادة الإلهة إزيس يلاحظ أن النساء الليبيات القاطنات بالقرب من بحيرة تريتون (خليج قابس بتونس) كنّ يمتنعن عن أكل لحم البقر احتراما لعبادة الإلهة إزيس ويؤدّين الصوم،ثم يقمن بالاحتفالات في الهوا ء الطلق لتلك الإلهة،وتجدر الملاحظة إلى أن هناك إلهات مصريات عبدنّ في بلاد المغرب نذكر من ذلك الإلهة حتحور آلهة الحصاد وجمع الثمار التي عثر على رؤوس تماثيل لها بتسريحة شعر خاصة لها في موقع مرصد الأثري بالقرب من تبسة[2].

كما يرمز لحتحور أيضا بـــ "البقرة "، وقد عثر على تماثيل لها في موقع مدينة ليكسوس بالمغرب الأقصى،وهناك الإله المصري "بس" الذي كان إلها ثانويا يتصف بأنه قصير القامة، قبيح المنظر، وقد وجدت له تماثيل في عدة مواقع ببلاد المغرب استخدمت كتمائم بغية الوقاية من الأرواح الشريرة. (**أنظر الشكل رقم: 21، ب، ص. 83**).

---

(1) محمد حسين فنطر،**الحرف والصورة في عالم قرطاجة**، منشورات الأبيض المتوسط، تونس 1999، ص.311.

(2) - Legaly (M.) ,Op.Cit., P. 246.

وبصفة عامة يلاحظ أنّ آلهة الخصب المصرية والكنعانية تلتقي وتتشابه في دورة الحياة والموت الزراعية،وذلك ما يتعلق بأسطورتي إزيس وأوزوريس المصريين و"عليان" و"موت "الفينيقيين.

وبدون شك أن شهرة "إزيس" مأخوذة من الدور الأساسي الذي تلعبه في أسطورة "أوزيريس" "Osiris" حيث الترجمة الأكمل توجد في "Plutarque" مرة يتحول إلى ملك في مكان أبيه "Geb" أوزيريس يعلم الناس الثقافة، لكنه جذب عداوة أخيه ست "Seth" الذي يعرف بإله الشرّ، حيث أنه دعا أخاه أوزوريس لوليمة أين يوجد صندوق مفصل تماما على مقياسه، وأعلن ست أنه قد صنعه هبة إلى الذي يتناسب وحجمه، وعندما دخل أوزيريس الصندوق بغية التجربة أعاد" ست " غلق الصندوق على أخيه وسمّر غطاءه وأخفى ذلك عن شقيقتهما، "إزيس" ثم رماه في البحر،غير أن إزيس بدأت في البحث عن جسم أوزيريس.

وقد نجحت في إيجاد الصندوق في "بيبلوس" "Byblos" أين كان موضوعا داخل شجرة، ثم عادت به إلى مصر، وخبأت الصندوق في الدلتا الشرقية، لكن ست اكتشف مكان الجثة، ثم استولى عليها وجزأها إلى 14 عضوا وبعثرها، غير أنّ ذلك لم يثن إزيس، في البحث عن أعضاء الجثة،حيث توصلت إلى جمع الأجزاء 13 لجسم أوزيريس التي كانت محفوظة، وبذلك أعادت له الحياة، ثم بعثت له بابنه حورس الذي إنتزعه سرّا من مستنقع الدلتا ثم نجح فيما بعد للإنتقام له.

وهكذا ينظر إلى إزيس على أنها إمرأة نجحت بفضل معلوماتها ومكتسباتها السحرية في الاستيلاء على الجسم المخفي للإله "أوزوريس".



أ- صورة لتمثال الإلهة إزيـــس
(متحف لومباز)



ب- صورة لتمثال الإله بـــس
(متحف قرطاجة)

الشكــــــل رقم: **21**

3- الإلـــه أتـــون:

الإله "**أتون**" "**Aton**" هو إله مصري يتمثل في قرص الشمس،ويعتبر من آلهة تل العمارنة، الذي انفرد له أمنوفيس الرابع (أخناتون) بالعبادة تحت إسم "الإله أتون-رع".

وقد احتفظ المصريون بتنوع التصورات للمبادئ الكبرى للحياة كما رآها الفرعون أخناتون، ويظهر ذلك في مرونة مذهب التنور، حيث شمل ذلك مذهب الحلول عند الفينيقيين، ومذهب تعدد الآلهة عند الفلاحين والذي سمح

لهم أيضا بتفضيل وجه آلهتهم المحلية ووضعها في نفس مكانة الآلهة الكبرى للملك أخناتون التي هي الشمس.

وقد إتجه المصريون إلى تفضيل الجانب التقليدي المعنوي على المظهر المادي البسيط لقرص الشمس. وقد امتدت فلسفة عبادة أخناتون ونظرته إلى الحياة إلى الليبيين القاطنين غرب مصر.

4- الإلـــه ســـت:

الإله "ست" "Seth"من الآلهة المصرية القديمة، يمثل إله الشّر وتظهر صورته على شكل حيوان يشبه الحمار بأرجل وأذان طويلة وذيل قصير، ويعتقد أن يكون هذا الرمز للإله ست قد غيّر قديما وظهر على شكل حيوان غريب شبيه بالكلب بعنق مستطيل وآذان مربعة، مع مقدمة وجه عريض ومقوس، وذيل قائم، وكان مركز عبادته مدينة "أمبويت" "Amboyet"، ثم ذاعت عبادته بعد ذلك، حيث أصبح إله مصر العليا، ودخل في منافسة خطيرة مع الإله "حورس" وقد وجدت هناك بعض التأثيرات لعبادته في بلاد المغرب القديم(1).

5- الإلـــهة حتحـــور:

الإلهة "حتحور" "Hathor" أكثر الآلهة المصرية شهرة، لها خصائص مميزة تمثل الإلهة الأم وهي عين "الإله رع"، ومن وظائفها أنها إلهة الموتى، لا سيما في مدينة طيبة المصرية.قد تتمثل الإلهة حتحور في شكل امرأة لها قرون بقرة تعلوها قرص الشمس أو تظهر في شكل بقرة، وجدت لها رسوم على فصوص جعالين أو على الجص، عثر عليها في مواقع ساحلية متعددة من بلاد المغرب القديم، لا سيما في كل من قرطاجة وشرشال وليكسوس(2).

---

(1) شباحي مسعود، **الديانة القديمة في كل من مصر وبلاد الرافدين**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، نوقشت يوم 2001/06/05، ص ص.112-116؛ العقون أم الخير، **الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية**،دكتوراه دولة،نوقشت بقسم التاريخ،جامعة وهران،2003-2004، ص. 326

(2) أريك هورنونج، **ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعددية**،ترجمة محمود ماهر طه ومصطفى أبو الخير، مط.مكتبة مدبولي مصر، ب. ت. ص.278.

الفصل الثاني

– الأساطير والمعبودات الفينيقية البونية في بلاد المغرب القديم:

1. الإله بعل حامون
2. الإلهة تانيت
3. الإله بعل إدير
4. الإله ملقارت (ملقرط)
5. الإله أشمون

- الأساطير والمعبودات الوثنية الفينيقية البونية في بلاد المغرب القديم.

1- الإلـــه بعل حامون:

الإله"بعل حامون" "**Ba'al Hammon**"هو اسم مركب من جزأين"**ب ع ل ح م ن**" ويمكن أن يكتب أيضا "**ب ع ل ع م ن** "،بحيث يحل حرف "**ع**" مكان "**ح**" وهو شيء عادي في اللغة السامية، فهو إله فينيقي من حيث التسمية قبل أن يكون قرطاجيا، ويعني لغويا "سيّد المبخرة " أو "نار الجمر الحامية"، وهو كذلك "سيّد الموقد" الذي تنبعث منه الحرارة، كما يعني أيضا الحرارة التي تبعثها الشمس.

وحول موضوع اسم بعل حامون يشرح "أحمد الفرجاوي" أنه يعني "سيّد المعبد" الذي تقدم فيه الأضاحي البشرية والبديلة فيما بعد "مولخمورو" "Molchomor"[1].

وكان الإله "بعل حامون" يعني لغويا أيضا عند الفينيقيين في شرق المتوسط "سيّد جبل الأمانوس" في لبنان، وبذلك فاسم هذا الإله مكوّن من قسمين شأنه شأن الآلهة الأخرى عند الساميين القدماء الذين غالبا ما يكون الاسم الثاني في لغتهم تابعا للأول والهدف من كل ذلك هو إعطاء القوة للإسم عندما ينسب للآلهة وهو ما يعرف في اللغة الأجنبية (Maître seigneur)[2].

ونلاحظ أن "بعل حامون" كان يحتل بلا منازع المكان الأول في البانتيون[3] القرطاجي في المدينة الأم قرطاجة عاصمة البونيين. وقد كانت معظم النصب النذرية التي عثر عليها في المدينة المشار إليها آنفا تحمل إسم الإلهة "**ت ن ت**

---

(1) - Ferjaoui (A.), Recherche sur les relations entre l'orient phénicien et Carthage, éd, Beit El-Hikma, Carthage, Tunisie,1992, PP.231-272.

(2) - Mohamed Fantar , Carthage la prestigieuse cité d'Ellisa. Imprimerie S.T.A.G, Tunis, 1970 ,P.161.

(3) البانتيون: هو مجمع الآلهة الإغريقية الرومانية،ويمكن أن تدفن فيه الشخصيات التي لها مكانة هامة في المجتمع الإغريقي- الروماني علما وأن مجمع الآلهة كان معمولا به في كامل الديانات القديمة في الشرق القديم وفي شمال إفريقيا.

"Tanit" بني بعل بالدرجة الأولى،ثم يأتي بعد ذلك مباشرة إسم الإله بعل حامون. وقد شبهه الرومان فيما بعد من حيث الوظيفة بالإله "ساترنوس" "Saturnus"، إله الفلاحة عندهم.ويعتبر أيضا بعل حامون رب الأرباب عند الفينيقيين والبونيين وسيّد السماء والعواصف والخصوبة، وقد عبد منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد لدى القرطاجيين في الحوض الغربي للبحر المتوسط ويماثله الإله "كرونوس" "Kronos" إله الأيام والسنين والفصول وتغيير الهواء عند اليونانيين[1].

ومن جهة أخرى كان القرطاجيون والرومان يظهرون على نصبهم بعل حامون في شكل إله "أقرن" وهو في ذلك شبيه بالكبش،وفي نفس الوقت يذكّر الدارس بالكبش "آمون المقدس" الذي كان يعبد عند الليبيين القدماء قبل مجيء الفينيقيين إلى شمال إفريقيا.

إنّ ما يدعونا إلى ترجيح هذا القول هو أنّ هناك شبه بين الإله "آمون" المصري- الليبي، والإله القرطاجي بعل حامون من حيث الوظيفة[2].

وغالبا ما يظهر الإله بعل حامون في شكل صورة شيخ مسن يتكئ على كبش "أقرن" أو شيخ يجلس على كرسي العرش، ثم يمسك الصولجان بيده،ويمكن أن تظهر له صور أخرى، وهو يقف في مدخل معبد يعلو رأسه قرص الشمس[3].

لقد تصدر إسم الإله "بعل حامون"نصب معبد الحفرة بسيرتا (قسنطينة الحالية) حتى اعتقد الباحثون أنه الإله الوحيد الذي قدس في المواقع الأثرية التي

---

(1) - Gsell (S.), Histoire ancienne de l'Afrique du nord ,T.VI, Paris , 1927,-P P. 221-236.

(2) محمد أبو المحاسن عصفور،**المدن الفينيقية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص ص.140-148.

(3) جان مزار،**الديانة الفينيقية**، مجلة المعرفة، ترجمة الدكتور نجيب غزاوي، العدد: 407، أيلول 1997، ص. 210.

وجدت في المدينة،حيث أن إسمه ظهر على (281) نصبا تشاركه في القليل منها الإلهة "تانيت بني بعل"[1].

كذلك تصدّر إسم الإله "بعل حامون" كثيرا من نصب "قالمة" و"عين النشمة" و"تيديس" و"هيبون" ثم "دلس" و"تيبازة" و"شرشال"[2]، وكل تلك النصب تعود إلى فترة المملكة النوميدية التي شجعت العبادة الليبو -بونية، حيث أن العبادتين إمتزجتا في كامل المستوطنات القرطاجية النوميدية وكذا المدن والتجمعات المحلية الداخلية مثل التي أشرنا إلى البعض منها آنفا[3].

ومجمل القول أن دراسة النقوش البونية -النوميدية تفضي إلى نتائج لا تقل وضوحا في معالجتها لفكرة الاستبدال والتي يكون محتواها أن رغبات الإله بعل حامون في الفترات الأخيرة أصبحت أقل قسوة حيث حلّ محل التضحية بالطفل البكر (الكبش) وهي التضحية المعروفة بـــ "ملخمومور" "Molchomor"[*]، وذلك أن يحلّ الحيوان محلّ البشر، ويكون ذلك غالبا خروفا يقدم للآلهة وفقا

(1) - Berthier (A.) et Charlier (R.), Le sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine (textes et planches), Arts et métiers graphiques , Paris ,1955.

(2) - Ibid, N° 12, P.96.

(3) - Ghaki (M.) ,Recherches sur les rapports entre les phénico- puniques et les libyco- numides, 5ème siècle, 1er siècle av-J.c., thèse de IIIème, Cycle université Part Léon, Sorbonne, Paris, 1979. PP.231-2 68.

(*) يلاحظ أن التضحية البشرية تكاد تكون شيئا معتادا في المجتمعات القديمة الوثنية المتوضعة على ضفاف البحر المتوسط،حيث مارسها الإغريق منذ الألف الثانية ق.م. ولم يتوقف العمل به لدى الرومان إلا في القرن الأول ق.م.، كذا مارسها الغاليون أثناء حملة قيصر؛ (Gsell(S.),H.A.N.T.4,P405.)، غير أن أكثر الشعوب ممارسة لشعيرة التضحية البشرية هم:الساميون الذين بالغوا فيها ونقلوها من الفردية الإرادية إلى الجماعية الرسمية،حيث كان العبرانيون والفينقيو- قرطاجيون كلما أحسوا بأخطار مادية تهدد وجودهم اعتقدوا بأن الآلهة غاضبة عنهم وحتى ترضى لا بد من إراقة الدماء البشرية لها،وذلك ما أشار إليه المؤرخ الإغريقي ديودور الصقلي الذي يذكر أنه أثناء غزو أجاتوكليس (Agathoclès) لأول مرة لمدينة قرطاجة سنة 310ق.م.، بادر سكانها بالتضحية بمئات من الأطفال من أبناء الطبقة النبيلة عسى أن ترضى عنهم الآلهة وتدفع عنهم الخطر الذي بات يهدد مدينتهم؛ (Diodore,XIII,62,4).

للعبارة المنقوشة في الأنصاب الرومانية التي اكتشفت بمنطقة "نقاوس"،حيث تذكر صيغة النص (روح بروح) و(دم بدم) و(حياة بحياة)[1]. ولعّل نص النقيشة البونية النذرية التالية التي اكتشفت في معبد الحفرة بقسنطينة توضح للقارئ بعض ما أشرنا إليه. **(أنظر الشكل رقم: 22، ص.90).**

نقيشة بونية نذرية اكتشفت في معبد الحفرة بقسنطينـــة

الشكل رقم 22 –أ–

ـــ المقابل في الحروف العربية للنص البوني السابق:

1. ل ا د ن   ل ب ع ل   ح م ن   ا
2. ش   ن د ر   ع ب د   ا ر م ى
3. ب ن   ع ز ر   ب ع ل   ش م ع   ق
4. ل ا   ب ر ك ا

(1) - Février (J-G.), Molchomor dans R.H.R, t. CXLII,1953, P P.8-18;
- Le Rite de substitution dans les textes de N'Gaous, J.A, Paris,1962, PP.1-10; Carcopino (J.), Survivances par substitutions des sacrifices d'enfants dans l'Afrique romane, dans R.H.R, T. CVI, PP.552-599.

ـــ مؤدى النص كالتالي:

1. إلى المولى الى بعل حمن (حمون)

2. ما نذره عبد ارمى

3. بن عزر بعل، سمع قو

4. له، فباركه[1].



صورة لتمثال الإله بعل حامون

الشكـــل رقم: 22 ــب ــ

---

(1) - Barthier (A.), Op.Cit., PP.12-13.

2- الإلـــهة تانيـــت:

يبدو أن اسم الإله "تانيت" "Tanit" "ت ن ت" لا يزال تفسيره غامضا حتى الآن، ذلك لأن عبادتها تتراوح قدما ما بين شرقي المتوسط وغربه،فهناك مثلا "تانيت لبنون" أي "تانيت لبنان وهي غير تانيت الإفريقية، إلاّ أن عبادتها مرتبطة خاصة بالقمر[1]، بحيث يظهر الهلال والقرص يعلو رمزها في كثير من النصب النذرية في المواقع الأثرية الفينيقية الغربية البونية، لا سيما في غربي البحر المتوسط. وغالبا ما يقترن بها قرينها الإله "بعل حامون"،وكثيرا ما يرمز لها بمثلث تعلوه ذراعان تمتد أفقيا تتوسطهما نقطة مستديرة تمثل الرأس ويعزز رسمها من الجانبين بصولجان ويد مفتوحة إلى الأعلى.وقد يعني إسم الإلهة تانيت في اللغة السامية "أعطية"،ذلك لأنّ معتقدها مرتبط بالخصب،ولذلك كانت هي الإلهة الإفريقية المقابلة لعشيرات البحر (عشتار السامية) التي كانت تعبد في شرقي البحر المتوسط. وفي بعض الأحيان يكتفى بالرمز للإلهة تانيت بيد مرتفعة أو صولجان (علامة تانيت)،حيث تمثل اليد المباركة والحماية، أما الصولجان فهو علامة القوة والتحكم.

إضافة إلى كون الإلهة تانيت، هي إلهة خصب،فهي أيضا تتحكم في البذر والحصاد ويستعان بها عند الولادة. وقد وجد لها تمثال في متحف "باردو" بتونس صورت على شكل امرأة تضع ابنها على ركبتيها،وكثيرا ما كانت تكتب تحت إسم "ر ب ت" في النقوش التي تحملها النصب النذرية في كل من قرطاجة ومستوطناتها البونية في غربي البحر المتوسط.

---

(1) - Mohamed Fantar, Carthage La cité punique, Ed. Alif, La Méditerranée, Tunis, 1995, P P.70-73.

وقد رسم رمزها المثلث أيضا على الأواني الفخارية والحلي وأشرعة السفن، وهناك من المؤرخين من يرى أن الإلهة تانيت في بلاد المغرب القديم تضاهي الإلهة عشتار من حيث الوظيفة [1].

وهناك من المؤرخين أيضا من جعل تانيت إلهة مغربية اعتمادا على حرف التاء "ت" الذي يَستهل به أسماء التأنيث في اللهجات الأمازيغية. غير أن الدراسات الحديثة كشفت مؤخرا عن رمزها وإسمها وقد نقشا على نصب عثر عليه في "سريبتا" "Saripta" بلبنان[2]، ويعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد ممّا يجعلها تذكر في شرقي البحر المتوسط كإلهة شرقية قبل أن يشار إليها في غربه،وذلك اعتمادا على دراسات الأب "ديلاطر" "Delattre"،وكان إسمها مقترنا بالإلهة عشيرات لبنان[3]، وهي أيضا تماثل الإلهة "نيت" المصرية التي عبدت في مدينة "سايس" بدلتا النيل بمصر، وذلك في بداية الألف الأولى ق.م[4].

ويلاحظ أن الإلهة تانيت بني بعل كانت تحتل المكان الأول في البانتيون القرطاجي وبعدها مباشرة يأتي الإله بعل حامون، حيث يتم ذكر اسمه بعد اسمها في النصب النذرية التي وجدت بقرطاجة، والمؤرخة في القرن الخامس ق.م، وبالعكس من ذلك فإن اسم بعل حامون يتصدر نقوش معبد الحفرة ويأتي بعده اسم الإلهة تانيت بني بعل[5].

---

(1) -The world of the phoenicieans, tard., in englishe, london,1968, 131-146 P P.

(2) - Hviberg Hansen, (F.O.), La Déesse TNT, une étude sur la religion cannanéo-punique, I texte, Capenhagne, 1997.P P.31- 115.

(3) - Picard (G.Ch),Civitas Mactaritana,Karthago,T.VIII,1957. P.161.

(4) محمد الصغير غانم، **معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر**، مط دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص ص. 169-172 ؛

- Moscati (S.), L'Epopéedes phéniciens, Paris, Fayard, 1971, P P. 102-136.

(5) - Berthier , Op.Cit. , P.3.

وهناك كتابة نقيشية أثرية تشير إلى عبادة تانيت وإلى ارتباط اسمها باسم الإله بعل حامون ممثلة في النص التالي:"**إلى الربة لتانيت بني بعل وإلى الرب بعل حامون ما نذره حنبعل بن بود أشطورة**"(1).

ومن جهة أخرى تظهر تانيت(*) ثانية إلهة تقدس في مجمع الآلهة السيرتي رغم أنها كانت معروفة قبل ذلك في قرطاجة. وقد طرحت هناك عدة تساؤلات حول صلتها بالمنطقة،هل هي إلهة محلية تطورت في المجتمع النوميدي؟ أم أنها عبدت كإلهة جاءت بعد التأثيرات الحضارية الفينيقية البونية من شرقي البحر المتوسط؟.وقد ظهر إسمها في العديد من النصب التي عثر عليها في معبد الحفرة السيرتي، ولعل النص النقيشي التالي يوضح ذلك(2):

---

(1) - M'hamed Hassine Fantar , Carthage approche d'une civilisation, Tom1 ,Ed. Alif, Tunis P.334, marge , 172.; Picard (G.C.) ,Vie et mort de Carthage ,Paris, 1970,P.148.

(*) كتب إسم الإلهة تانيت في كثير من الحالات بثلاثة أحرف صامتة (ت ن ت)،وكتبت أيضا بإضافة حرف العلة (ي) أي (ت ن ي ت)،ثم كتبت باللغة الإغريقية (ت ي ن ي ت)، حيث يبدو أن الحرفين الأول والرابع يؤديان وظيفة حرف الكسرة المددة، لمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، **المملكة النوميدية...**، ص.208.

- Berthier (A.), L'Abbe, Op.Cit.,P.167.Inscription (G.R); PL. XXVIII, A.,

(2) - Février (M.), Bull Archéol, du comité, 1941-1942, P.388, I. III.; Chabot (L.), Punica, dans J.A, 1917, II, P.71.;

- محمد الصغير غانم، **المساهمة الحضارية البونية في المملكة النوميبيدية**، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ المغرب القديم والآثار البونية، نوقشت بجامعة قسنطينة، 1996م، ص ص. 2-3.

نقيشة بونية نذرية اكتشفت في معبد الحفرة بقسنطينـــة

– المقابل في الحروف العربية للنص البوني السابق:

1- ل ا د ن ل ب ع ل ح م ن و ل ت ن ت.

2- ف ن ب ع ل م ت ن ت ا ش ن د ر ج ع ي.

3- ب ن ل ق ي ت ش م ا ق ل ا ب ر ك ا

– مؤدى النص كالتالي:

1. إلى المولى بعل حمن وإلى تنت

2. وجه بعل هدية نذرها جايوس

3. بن لوسيوس، لتسمع قوله، فتباركه(*).

وعلى أية حال، فإن عبادة الإلهة تانيت كانت تحضى بتقدير تعبدي في المجتمع النوميدي،فلقد اعتبرت إلهة الخصب، وسيدة الأمومة ولا يستبعد أن ترتبط عبادتها بتلك التي عرفت في شمال بلاد ما بين النهرين منذ العصر الحجري الحديث، غير أن ورود اسمها في المرتبة الثانية في سيرتا في نصب معبد الحفرة بعد

(*) لعل هذه النقيشة كتبت في فترة متأخرة من حكم المملكة النوميدية،وذلك لوجود إسمين رومانيين فيها وهما "جايوس" و"لوسيوس".

الإله بعل حامون يجعل الدارس يفترض أن أصلها الشرقي قد لا يستبعد.وقد استمرت تعبد في المجتمع النوميدي في الفترة الرومانية تحت إسم "كايلستيس" "Caelestis"، هذه الأخيرة التي تعتبر إلهة الزراعة والخصب لدى الرومان[1].

3- الإلــــه بعل إديـــر:

الإله "بعل إدير" هو إله فينيقي ورد إسمه في نقيشة تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد،وذلك بمدينة جبيل بالساحل اللبناني.

كما ذكر عدّة مرّات في نقوش معبد الحفرة البوني بقسنطينة،تارة بمفرده وأخرى مقرونا باسم الإلهة تانيت بني بعل[2]، مما أدى ببعض الباحثين إلى القول بأنه أحد الأسماء المترادفة للإله بعل حامون ولا يختلفان إلاّ في الاسم وفي الحقيقة هما: يعنيان إلها واحدا هو "بعل حامون"[3]. وقد ورد اسم بعل ادير في إحدى نقوش معبد الحفرة على الشكل الآتي: (**أنظر الشكل رقم: 23،أ، ب، ص.97**).

نقيشة بونية نذرية اكتشفت في معبد الحفرة بقسنطينة

---

(1) - Leglay (M.),Saturne Africain, T. Histoire , Ed. de Bocard , Paris, 1966 P P. 55-205.
(2) - Berthier (R.),Charlier (R.),Le Sanctuaire punique d'EL-hofra à Constantine, Paris, 1955, Inscr.N°.6,8,11,14,15.
(3) - Ibid, Inscr.N°13,16,17,19.

– المقابل في الحروف العربية للنص البوني السابق:

1. ل ا د ن ل ب ع ل ا د ر.

2. ن د ر ح ن ا هـــ ج ج ع

3. ب ن ب ع ل ش ل ك م ل ك

4. ش م ع ق ل ا

– مؤدى النص كالتالي:

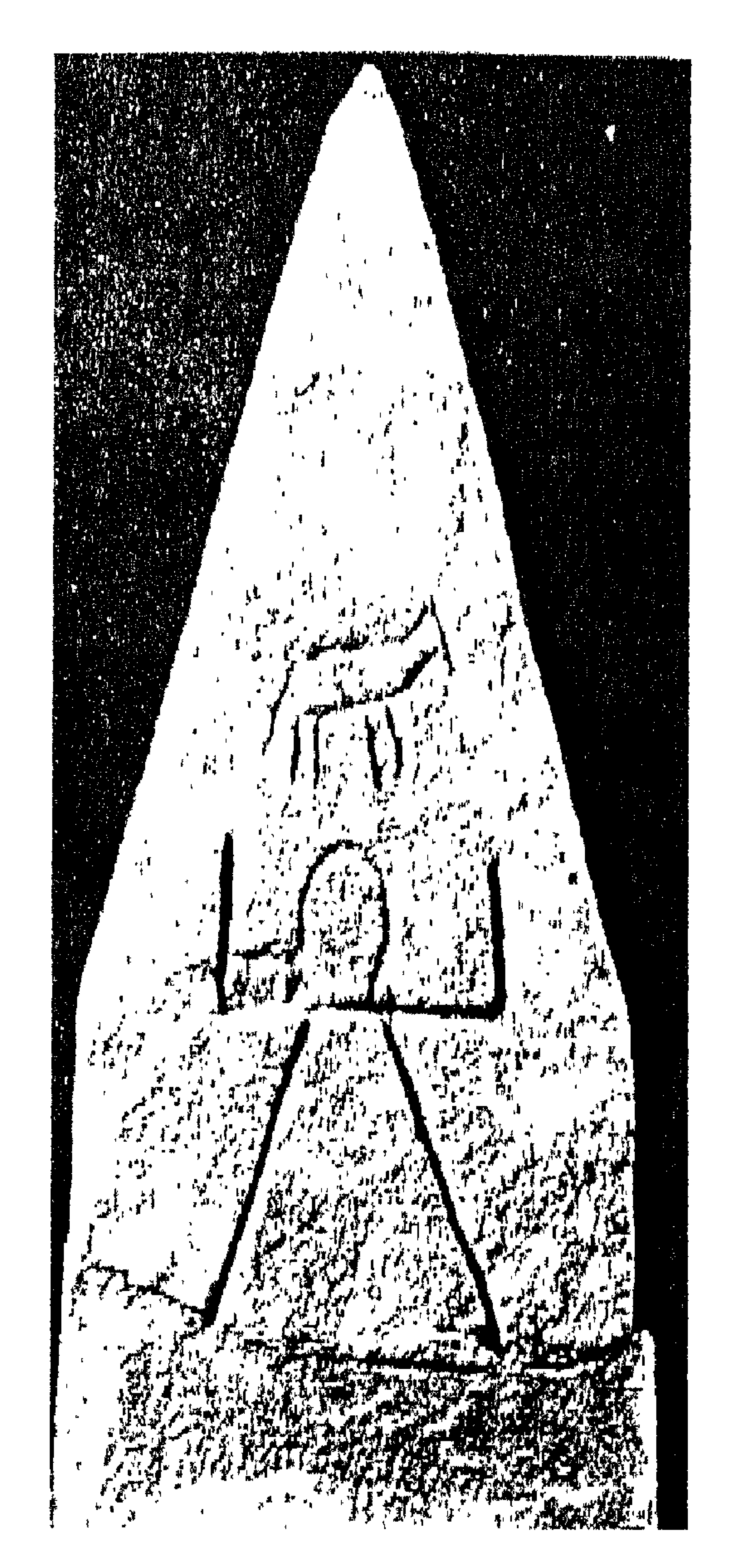
1. إلى المولى الى بعل ادير

2. ما نذره حنو الجنجع

3. بن بعل شلك ملك

4. سمع قوله[1]

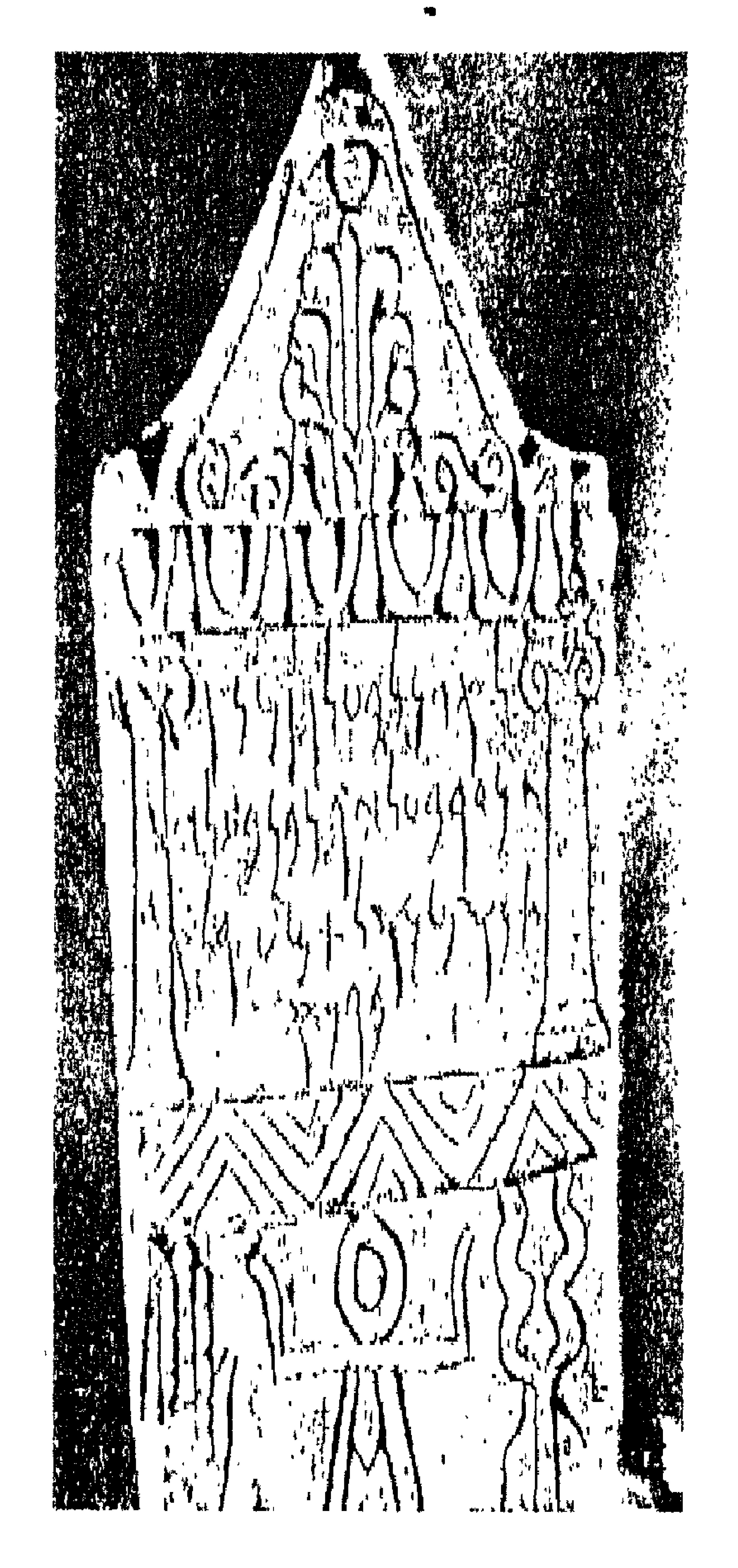
(1) - Ibid Inscr.N°13,16,17,19, 42.

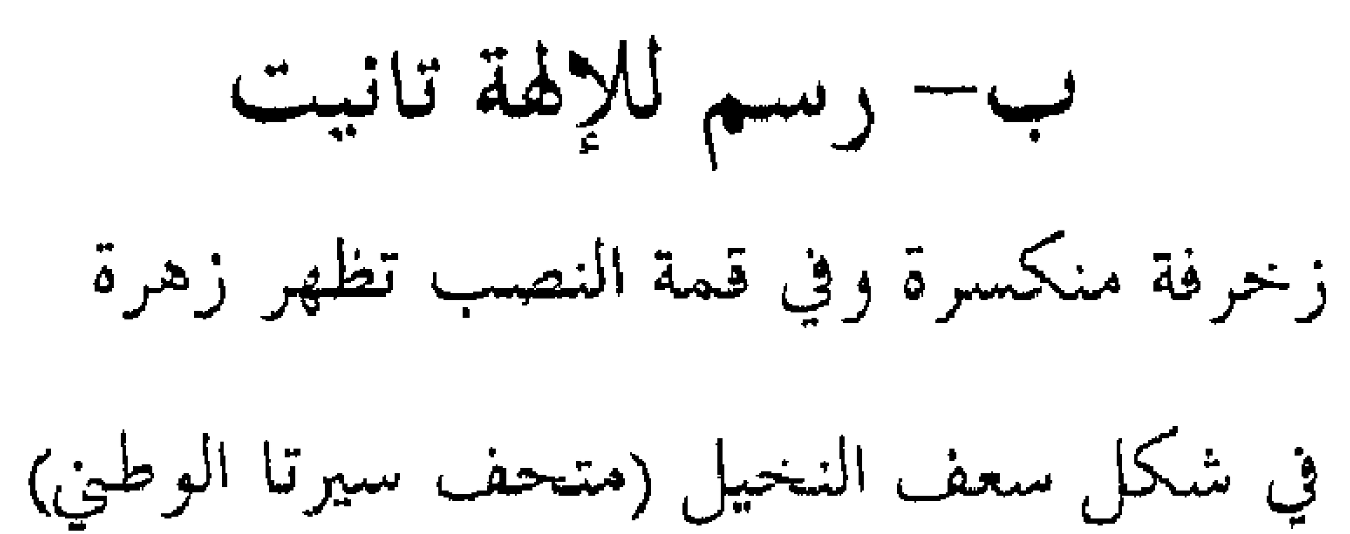


أ– رسم للإلهة تانيت

في شكلها المثلث يعلوها شكل حروف

(متحف سيرتا الوطني)





ب– رسم للإلهة تانيت

زخرفة منكسرة وفي قمة النصب تظهر زهرة

في شكل سعف النخيل (متحف سيرتا الوطني)

الشكـــــــل رقم: 23

4- الإلـــه ملقارت (ملقرط):

الإله "ملقارت" هو الإله الرئيسي في مدينة "صور"، وقرطاجة ويعتبر الإله الحامي للمدينة، وقد شبهه الإغريق بالإله "هرقليس"[1] "Herculése"وذكره الرومان تحت إسم "أركول" "Hercule"[2]، يتركب اسمه من كلمتين الأولى "ملك" التي تعني الرب والثانية "قرط" التي تعني المدينة، وبذلك يكون الإسم ككل (ملك المدينة) أو ربها،ومن مشمولات تركيب إسمه أنه يدخل في تركيب عدة أسماء مثل: " عملقار " (عبد ملقرط) و"بوملقار" (المدين لملقرط) أو التابع له...إلخ. (**أنظر الشكل رقم: 24، ص.100**).

وقد كان لملقرط معبد في مدينة قرطاجة ونظرا لأهميته كإله صوري في البداية،فقد كانت ترسل له الهدايا الثمينة والقرابين من مدينة قرطاجة للمدينة الأم في الساحل الفينيقي، ومن وظائف ملقارت الرئيسية أنه كان إلها للشمس،والنباتات ثم الملاحة،وقد تكرر ذكر إسمه عدة مرات في نقوش معبد الحفرة بقسنطينة، حتى خيّل للباحثين أنه كان له معبد بمدينة سيرتا[3]. كما انتشرت عبادته في "قادس" حيث ظهرت صورة له في عملتها،حملت على وجهها إسم "قادس ".

أما في معبد الحفرة بسيرتا فقد ظهر اسم الإله ملقارت في النقيشة التالية:

(1) - Mohamed Fantar , Carthage , La cité punique. P.- 70
(2) - Leglay (M.), Op.Cit., P.239.
(3) - Berthier (A.), et L'Abbé (R.), Op.Cit., P.64,texte et PL. XIV, A.

نقيشة بونية نذرية اكتشفت في معبد الحفرة بقسنطينـــة

– المقابل في الحروف العربية للنص البوني السابق:

1. ل ا د ن ل ب ع ل ح م ن ن د ر ا ش

2. ن د ر ع ب د ا ش م ن ب ن ب د ع ش ت

3. ر ت ك هــ ن م ل ق ر ت ك ش م ع

[ق] [ا]

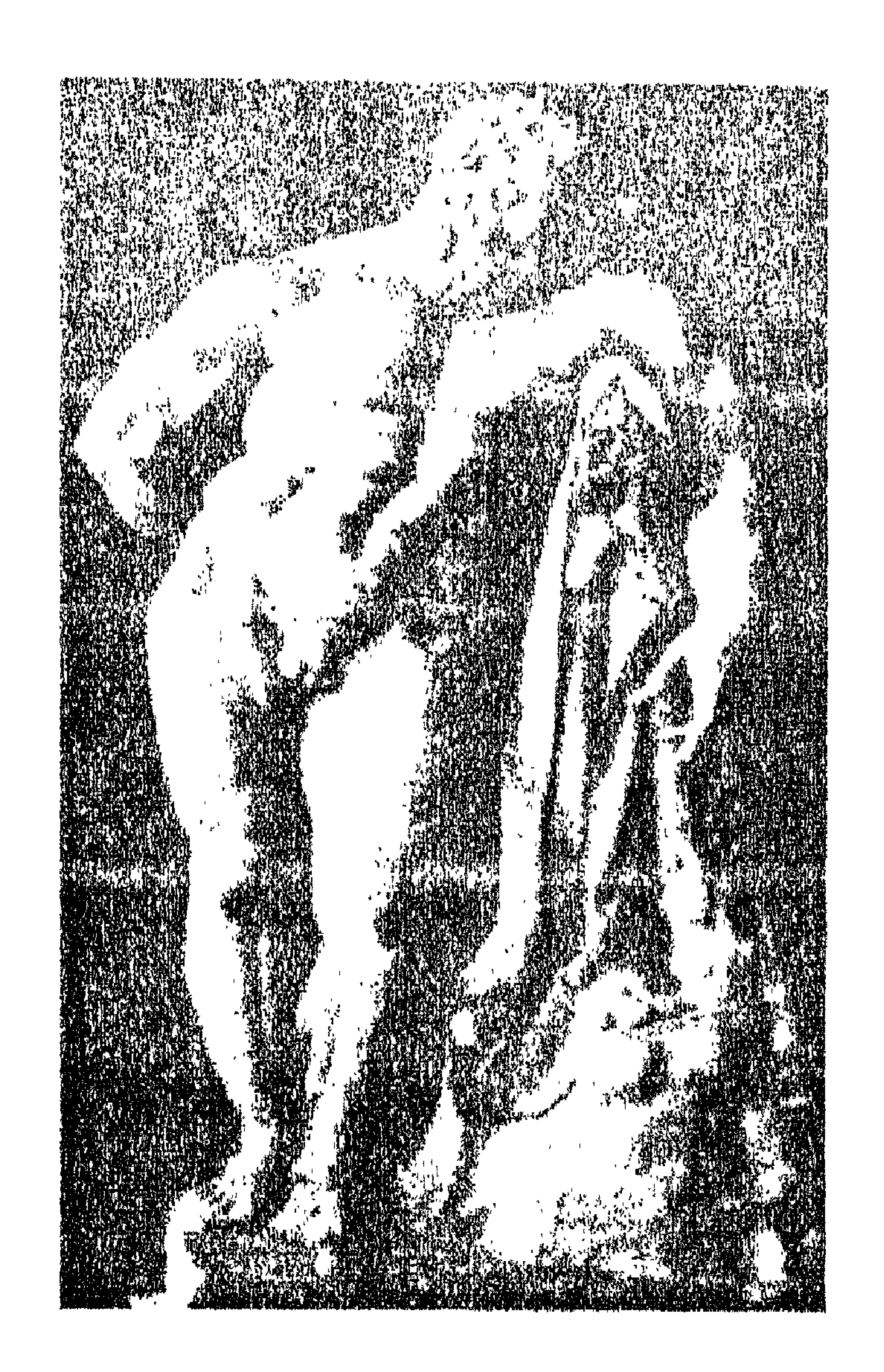
– مؤدى النص كالتالي:

1. إلى المولى الى بعل حـــمن نذر

2. نذره عبد اشمون بن بدعشتـــ

3. ـــر ت كاهن ملقرت لانه سمع

4. [قو] لــ[ـــه].



صورة لتمثال الإله هرقل (متحف نابولي)

الشكـــل رقم: **24**

5- الإلـــه أشمـــون:

يعدّ الإله "أشمون" "Echmoun"إلها رئيسيا لمدينة "صيدا"، وهو إله أرضي يتصل بالحياة الزراعية، ومن خصائصه العناية بالأمور الصحية والشفاء، فهو يرمز أيضا للخصب، ويحافظ على الطبيعة الكونية، لا سيما فيما يخص كوكب الشمس، ولذلك اعتبر من أهم الآلهة بمدينة قرطاجة، وقد شيّد له معبد فوق

قلعة (بيرصة) منذ الفترة الأولى لنشأة المدينة، وتحتلّ مكان المعبد المشار إليه آنفا اليوم كنيسة "لويس التاسع". وقد إلتجأ القرطاجيون في دفاعهم الأخير عن مدينتهم إلى قلعة بيرصة التي كانت هي ملاذهم الأخير قبل أن تهدم وتحرق المدينة سنة 146 ق.م، من قبل الرومان[1].

ويلاحظ أنّ عبادة "أشمون" قد انتشرت في كل من صيدا وصور وبيروت في شرقي المتوسط وقرطاجة في غربه.

وكان اليونانيون يشبهون إلههم "أيسكولاب" "Asclépios"بالإله الفينيقي "أشمون"، وسماه الرومان فيما بعد بـــ "أسقولاب" "Esculape" ومرتبته عند الرومان تقع ما بين الإلهة "جونون" و"ساتورن" ويقربونه من الإلهة "كايليستي" إلهة الزراعة،وقد عثر على تماثيل له في مواقع المدن الرومانية بشمال إفريقيا، لا سيما بموقع مدينة "حيدرة" بالقرب من تبسة [2].

وهكذا نرى أنّ الديانة الفينيقية- البونية في بلاد المغرب القديم قد امتزجت بالديانة الليبو-نوميدية وظلتا مقترنتين تتغذيان من معين واحد هوالمجتمع المغربي القديم بكل أطيافه.

وقد استمرت الديانة البونية على ذلك في المنطقة المغاربية حتى ما بعد تهديم مدينة قرطاجة سنة 146ق.م وأكثر من ذلك فإن الحضارة البونية بكل معطياتها الثقافية والدينية بقيت تضفي ظلالها على المجتمع المغاربي أثناء فترة الاستعمار الروماني، ذلك أن معظم وظائف الآلهة الرومانية كانت في الحقيقة استنساخا للآلهة البونية الإغريقية مع اختلاف في الأسماء،لا سيما في مجال الخصب والأمومة وحماية النباتات وتقديم النذر.

---

(1) محمد الصغير غانم، **التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط**، ،مط. دار الهدى، 2003، ص ص. 102-108.

(2) - Leglay (M.), Op.Cit., Mon.I, P.324; Poinssont (L.), Inscription de thugga. II., P.338.

الفصـــل الثالث

- الأساطير والمعبودات الإغريقية الوثنية في بلاد المغرب القديم:

1. الإلـــــه زيـــوس
2. الإلـــــه بوسيدون
3. الإلـــــه تريتـــون
4. الإلهـــة أثينـــــــة

- الأساطير والمعبودات الوثنية الإغريقية في المغرب القديم:

1- الإلــه زيــوس:

الإله "زيوس " "**Zeus**" هو رب الأرباب،وإله السماء والرعد والعواصف والصواعق عند اليونان،كان مقرّه جبل "الأولمبياذ"،وله ثلاث بنات وثلاثة أبناء وفي الأساطير اليونانية يعتبر ابنا للإله"كرونوس" و"آخا" للإله "بوسيدون"[(1)].

اختص زيوس بالإشراف على مجالس الآلهة -الأولمبية-،وكان لجميع الآلهة اتصال به، كما أنّه كان يتأثر بنصائح مواطنيه أحيانا. كانت له هبة كبيرة حتى أنه يقال أن الحظ خاضع لإرادته، يعاقب من يخترق قوانين الضيافة.له القدرة في القتال ومعاقبة البشر، صوّر في هيئة مهيبة، كما كان مسلحا بالبرق والرعد ويقابله عند الرومان الإله "جوبيتر" "Jupiter"، الذي يمثله طائر النسر-طائر يوش- ومعابده في الأولمبياد "Olympia"،أين كانت تقدم له القرابين والذبائح من الماشية والماعز على الأخص.

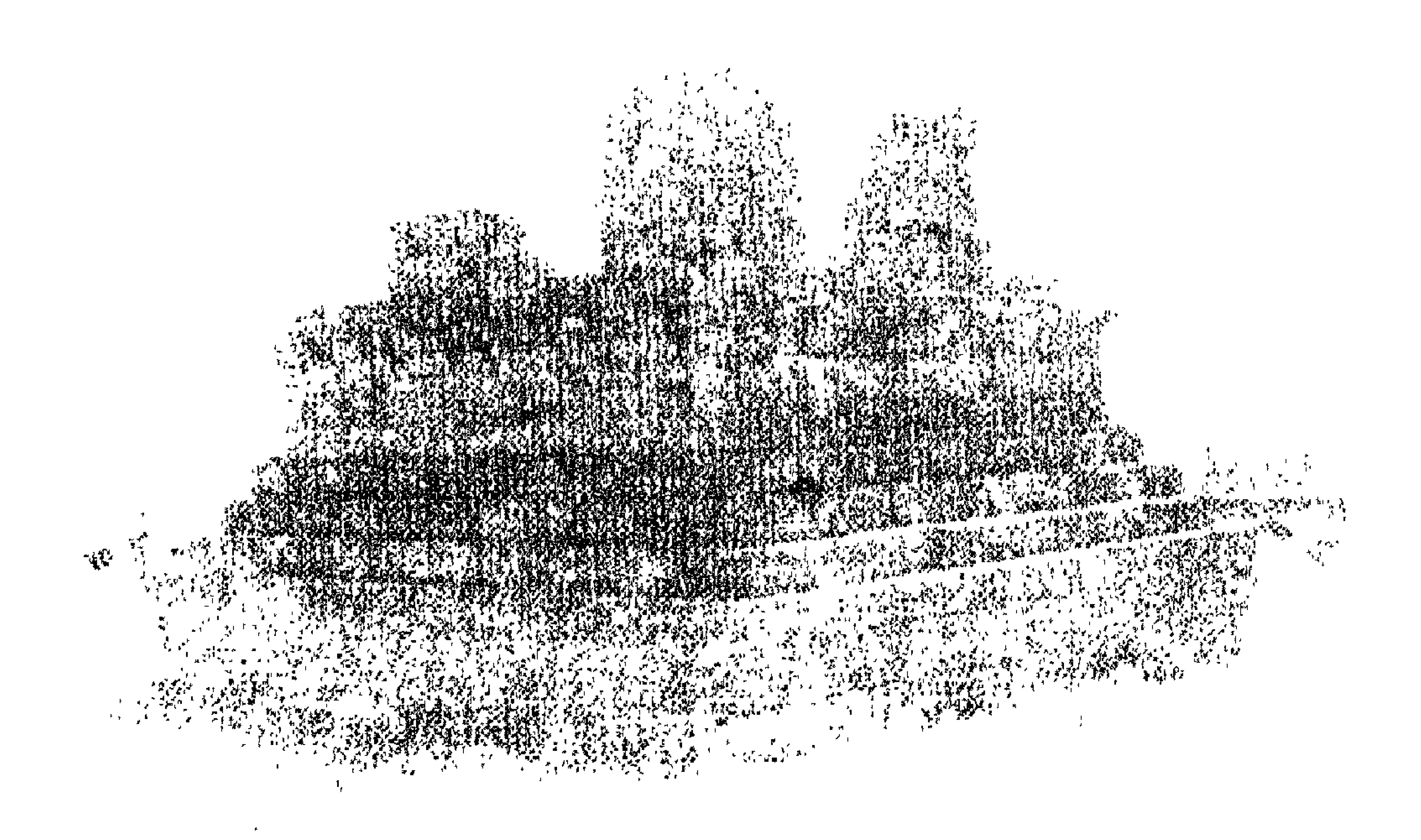
وقد عرفت زوجته التي كانت هي شقيقته تحت إسم الإلهة "حيرا" "Héra"[(2)]، التي تعتبر مثالا لربة العائلة.

2- الإلــه بوسيدون:

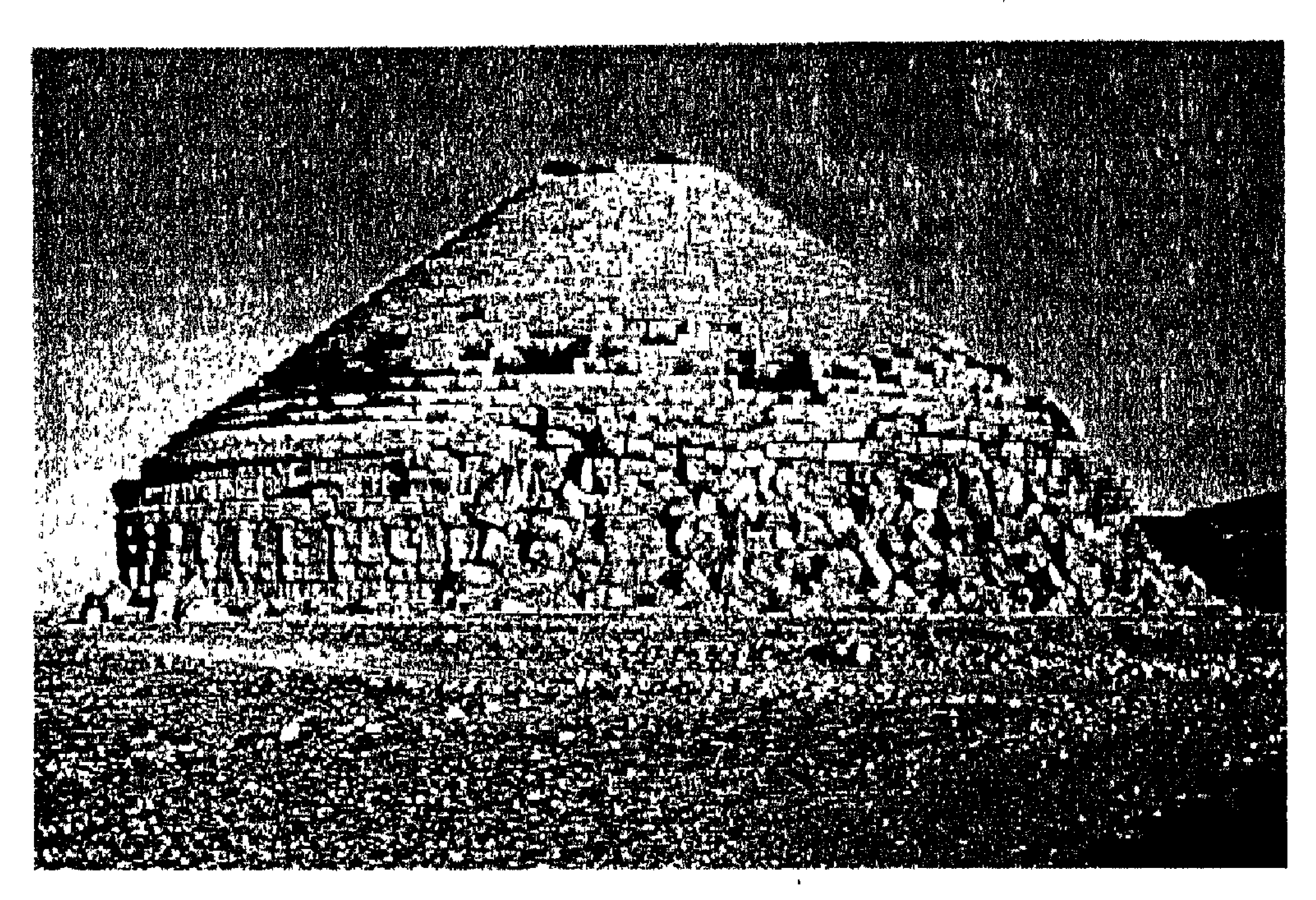
إله "**بوسيدون**" "**PouSidon**" يمثل رب البحر، له سلطان على العواصف والرياح، ثم الزلازل، يرسل الخراب أو السلامة للملاحين، ويشرف على الصيد والتجارة البحرية، كما يمثل أيضا إله المياه العذبة التي تسقي النباتات،لذا فهو رمز نمو الخضروات والقطعان. وقد صوّر أيضا في هيئة إنسان له لحية وشعر طويل أحيانا يرتدي ثيابا.وقد كانت له صراعات مع العديد من الآلهة،وغراميات مع كثير من الإلهات، ويعتبر الإله بوسيدون إبنا للإله" كرونوس" و"رهيا" وأخا لزيوس[(3)]. **(أنظر الشكل رقم: 26،أ،ب، ص.106).**

---

(1) - Leglay (M.),Saturne africain,Op.Cit.,PP.204-205.
(2) - Hérodote, L. IV , 50.
(3) - L'Algérie au temps des royaumes numides ,éd.,I.S.B.N.,Paris , 2003, PP.128-129.



أ– صورة لضريح الصومعة بالخروب (متحف سيرتا)



ب– صورة لضريح مدراسن بالقرب من باتنة

الشكــــل رقم: 25



أ- رسم على العاج للإله بوسيدون عثر عليه في دهليز موقعه الخروب



ب- صورة لتمثال الإله بوسيدون (متحف أثينـــا)

الشكـــل رقم: **26**

3- الإلــــه تريتــــون:

الإله "**تريتون**" "**Triton**" هو إله البحر،كان يرفع الصخر من البحر ويغلق منها ما بين الجزر والمضائق،وكانت له موهبة التنجيم، كان الناس يقسمون به ويتفاءلون بملاقاته مع البحر.

كان تريتون يصور كثيرا وهو يحمل بوقا وإلى جانبه الإلهة" أثينا "تساعده في وظائفه خاصة الحربية منها،فهو ينادي على الأمواج لتأتمر بأوامره،وذلك عن طريق الأصوات المخفية التي يحدثها البوق. ويقال أنّ تريتون قد صار في عصور الإغريق القديمة اسما يدّل على الجمع واعتبر كأنه من جماعة آلهة البحر الذين يخدمون بوسيدون. وقد ذكر "هيرودوت" في تاريخه بحيرة سمّيت تحت اسم "تريتونيس" تقع على ساحل خليج "قابس". وأنّ الليّبيين الرعاة يرتحلون إلى الشرق منها،بينما يستقر المزارعون بالغرب منها(1).

ومن جهته يذكر هيرودوت أن الليبيين الذين يستقرون بالقرب من بحيرة تريتون كانوا يقدمون القرابين للإلهين تريتَون وبوسيدون(2).

يظهر الإله تريتون بجسم بشري ينتهي بذنب سمكة، وقد نقشت صورته تلك على بعض النقود الفينيقية والجعارين المصرية وله نظائر في كل من بابل وأشور ببلاد ما بين النهرين،وهناك يعرف بـــ "بوتاس"(3).

4- الإلهــــة أثينـــــــا:

الإلهة "أثينا " "**Athena**" هي ربّة إغريقية إبنة الإله "زيوس"، ولدت من رأسه وهي أيضا إلهة الحكمة والحرب والذكاء والفكر والفنون والعلوم والصناعة عند اليونان، تعتبر راعية مدينة أثينا،كما أنّها مشابهة للآلهة "منيرفا" "Mi Nerva" عند

---

(1) - Afrique du nord, à l'histoire de l' - Hérodote,Textes relatifs Stéphane Gsell ,Ed, Adolphe Jordan ,Alger , T. 4.1915,P.171. Trad.,

(2) - Ibid, P. 50.

(3) محمد حسين فنطر،المرجع السابق، ص.312. ؛ علي فهمي خشيم، **نصوص ليبية، ترجمة لكتاب هيرودوت**،دار مصراتة،1967، ص.72.

الرومان.وقد عبد الليبيون المستقرون حول بحيرة تريتون بليبيا الإلهة أثينا،ثم أقاموا لها الاحتفالات السنوية[1]. **(أنظر الشكل رقم: 27، ص.108).**



صورة لتمثال الإلهة أثينـــا (متحف ترم)

الشكل رقم: 27

---

(1) آثار قزال بعض الفرضيات حول أصل الإلهة أثينا وقام بالمقارنـة بـين عبادتهـا عنـد الليبـيين ومـا يقابلها لدى الفينيقيين عبادة عشتار،والمصريين بمنطقة الدلتا عبادة نيت الـتي شـبهها الإغريـق هـي الأخرى بأثينا .

الفصل الرابع

- الأساطير والمعبودات الرومانية الوثنية في بلاد المغرب القديم:

1. الإله ساتورن
2. الإلهة كايلستيس
3. الإله إيسكولاب
4. الإله جوبيتر
1. الإلهة ديانا
6. الإلهة فنوس
7. الإله مارس
8. الإلهة مينيرفا
9. الإله مركور
10. الإلهة جونون
11. الإله أبلون
12. الإله باكوس
13. الإله نبتون
14. الإله ديونيسيوس
15. الإلهة سيراس
16. الإله بلوتون

- الأساطير والمعبودات الوثنية الرومانية في بلاد المغرب القديم.

1- الإله ساتورن:

الإله"ساتورن" "Saturne" إله روماني قديم،كان يسمى بالإله "كرونوس" "Cronos "عند الإغريق ويشار إليه في الميثولوجيا الإغريقية أنه إنتقل إلى روما هروبا من بلاد الإغريق فاستقر بها مع الآلهة "جونون" "Junon" وغيّر إسمه إلى الإله ساتورن،وقد شيّد له الرومان معبدا واختص بالزراعة والخصب والعواصف[1]. **(أنظر الشكل رقم:28، ص.112).**

وتبدو عبادة الإله ساتورن في بلاد المغرب القديم إستنساخا للإله البوني بعل حامون من حيث الوظيفة[2]. ويلاحظ أنه وجدت له ثلاثة نصب تحمل رمزه قرب مدينة (جميلة) الأثرية ويؤرخ لها بالقرن الثالث الميلادي، وهي تدّل على مدى رومنة الديانة الليبو-بونية،حيث يظهر على هذا المعبود الروماني التأثيرات الشرقية[3] التي يماثل فيها من حيث الوظيفة الإله بعل حامون والإلهة "كايليستيس" "**Caelestis**" التي تعتبر هي الأخرى استنساخا للآلهة تانيت القرطاجية التي عثر على رسوم لها في نصب كل من قرطاجة ودوقة وسيرتا.حينئذ فالقرابين والطقوس التي تقدم للآلهة الرومانية تقريبا متشابهة مع تلك التي قدمت للآلهة البونية التي سبقتها،ذلك أنه غالبا ما كانت تعلو نصبها وواجهات أقواس النصر فيها وجدران معابدها وتوابتها رموز تماثل تلك التي وجدت في المدن البونية الساحلية.

من جهة أخرى يظهر الإله ساتورن في شكل شيخ ملتح له رأس مغطى بغطاء في شكل "تاج". وفي بعض النصب يحمل بيده غطاء رأسه، وفي اليد الأخرى يحمل حربة، وكانت تقدم له في أول الأمر قرابين بشرية،كانت محرّمة

---

(1) -Guiand et Schmidt (J.), Mythes et mythologies, Histoire ,dictionnaire, Larousse, Paris, 1,1996, P:833.

(2) - Picard (Ch. G.), Les religions de L'Afrique antique ,Paris, 1954, PP.105- 161.

(3) - Carcopino (J.),Op.Cit., PP.592-599.

في روما، ثم عوضت تلك القرابين البشرية بحيوانات خاصة مثل الكبش والثور[1].

وفي سنة 1930، عثر الباحث "ألكيي" "Alquier" في موقع نقاوس الأثري على عدة تماثيل وجدت على البعض منها نقائش من بينها نص يشير إلى التضحية بالكبش بدلا من الطفل وهو ما عرف عند الباحثين بطقوس الاستبدال "مولخمورو" "Molchomoro"[2].

يمكن أن نشير أيضا إلى أنّ الإله ساتورن الروماني هو إستنساخ للإله بعل حامون البوني، كما أشرنا إلى ذلك آنفا،ومن أجل ذلك بنيت له معابد عند الرومان في نفس الأماكن التي احتلها بعل حامون لدى عبّاده قبل ذلك وأهديت له العديد من التماثيل والنصب في المدن الرومانية التي غالبا ما بنيت على أنقاض المدن المحلية الليبو-بونية والنوميدية- الموريتانية في بلاد المغرب القديم[3].

---

(1) - Décret (F.) et Fantar (M.), L'Afrique du nord dans L'antiquité ,(histoire et civilisation des origines au V siècle), Payot, Paris, 1981, PP.271-274.- Picard (Ch. G.), Les religions de L'Afrique antique ,Paris, 1954, PP.105- 161.

(2) - Février (J.G.),Le rite substitution dans les textes de ,N'Gaous, J.A., 1962, PP.1-10.

(3) - Leglay, Op.cit., P. 22.



صورة لتمثال الإله ساتورن (متحف قرطاجة)

الشكـــل رقم: 28

2- الإلـــهة كايلستيس:

الإلهة "**كايلستيس**" "**Caelestis**"، هي إلهة محلية تعتبر استنساخا للإلهة تانيت في الفترة النوميدية –الرومانية، وقد قدمت على شرفها العديد من النصب والتماثيل.

وقد عبدت الإلهة كايلستيس على أنها سيدة الكواكب وإلهة الخصب والأمومة مثلها في ذلك مثل تانيت، مما جعلها تدعى بالإلهة العذراء الكبرى[1].

كما يلاحظ أن الإلهة كايلستيس كانت من أهم الإلهات القرطاجية التي استمرت تعبد في الفترة الرومانية مع تحويل في اسمها،حيث أصبحت تعرف بالإلهة "جونون- كايلستيس" "Junon- Caelestis".

(1) Décret (F.) et Fantar (M.), Op.Cit., P. 273.

أما عن أصل هذه الإلهة فيخبرنا المؤرخ الإغريقي "هيروديان" "Hérodien" الذي عاش خلال القرن الثالث الميلادي، أنها كانت إلهة محلية عبدت من قبل الليبيين والقرطاجيين، ثم المغاربة المتر ومنين وحتى الرومان أنفسهم.وقد نقلت عبادتها وتماثيلها إلى روما[1].

ويعتقد أن الإلهة كايلستيس كانت قد عبدت منذ تأسيس قرطاجة واعتبرت مضاهية كذلك للإلهة عشيرات البحر الفينيقية الأصل التي كان لها العديد من المعابد والتماثيل على هضبة الكرمل بالساحل الفينيقي. ويبدو أن الإلهة كايلستيس (جونون) قد أرفق إسمها بالعديد من أسماء الآلهة الإغريقية واللاتينية مثل الإلهة "هيرا" "Hera" الإغريقية والإلهة "ديانا" "Diana"الرومانية[2].

كما تجدر الإشارة إلى أن سكان المغرب قد حافظوا على عبادة الإلهة كايلستيس في بداية الفترة الرومانية، ذلك أن اسمها وجد منقوشا بالحروف اللاتينية على جدران الكهوف التي كانوا يسكنونها، ووجد إلى جانبها إسم الإله "باكاس" "Bacax" الذي نحت على جدران كهف جبل "طاية" بقالمة ونصب "باجا" "Béja" الذي نقشت عليه أسماء سبعة آلهة كتبت هي الأخرى بحروف لاتينية وذلك مثل (Macurta-Iunam-Macurgum-Matilam-Bouchor-Vitrinam-Varsissma)، ويعود النصب المشار إليه للقرن الثالث الميلادي،وهو مهدى من طرف مواطنين نومديين ترومنوا،كذلك اكتشفت أسماء مجموعة من الآلهة بالقرب من مدينة تبسة من بينها إلهة تدعى "ماجيفة" "Magifae " (Thitihva-Masiden-Mariddica-Iesdan-Suggan) ،يضاف إليها أسماء تلك الآلهة التي اكتشفت بمنطقة "هنشير رمضان" وتتمثل في (Dii Mauri-Fudina-Vacurtum-Varsis)[3].

---

(1) - Lepelly (C.),Déclin ou stabilité de L'agriculture, **Ant Afr.**1,1967, PP.135-141.

(2) - Boissier (G.), La religion romaine , T.1, Paris , sans date , PP.61-74.

(3) - Benabou (M.), La résistance africaine à la romanisation, édition, Maspero (F.), Paris, 1975, P. 289.

وهكذا يلاحظ الدارس أن الإلهة كايليستيس هي معبودة محلية رئيسية إستنسخت وحلّت محلّ الإلهة تانيت القرطاجية ثم جونون الرومانية، وقد استمرت تعبد في شمال إفريقيا حتى الفترة المسيحية.

3- الإلــــه إيسكولاب:

يعتبر الإله "**إيسكولاب**""**Esculape**" إله الطب ويمكن أن يكون هو الإله الفينيقي "أشمون" "Eshmoun" إله مدينة صيدا في الساحل الفينيقي وهو نفسه الإله "أسكوليبيوس" "Asclépios" عند الإغريق.وقد يساوي في وظيفته الإله الليبي ماكيرقيم (Macurgum). وقد عثر على العديد من التماثيل لإيسكولاب، لا سيما في موقع قمتي بيرصة بقرطاجة بتونس، و"حيدرة" بالقرب من تبسة بالجزائر، ويبدو من حيث تماثيله أنه كان إلها ملتحيا،شعره كثيف ويرتكز في وقفته على ثعبان،وله إبنة عبدت في "لبتيس" (ماقنة) "Leptis magna"بليبيا، وهو إله شافي من كل الأمراض إلى درجة أنه استطاع أن يربط عند عبّاده بين الطّب والدين، وقد تطوّرت عبادته من قبل الكتيبة الثالثة الأوغسطية (Augustien) الرومانية في شمال إفريقيا[2]. (**أنظر الشكل رقم: 29، أ، ص.116**).

ويعتقد أن عبادة الإله سالف الذكر بدأت في روما سنة 293ق.م، وعندما أرسلت بعثة إلى "أبيدا" و"روس" تطلب النجدة من الآلهة لمقاومة طاعون عظيم انتشر آنذاك،حيث ظهر الإله إيسكولاب في هيئة ثعبان،ولما وصلوا إلى نهر"ألتيبر" ترك السفينة ونزل في إحدى الجزر حيث أقام الرومانيون له معبدا[1].

4- الإلــــه جوبيتر:

عبد الرومان الإله جوبيتر"**Jupiter**" واعتبروه من أقدم الآلهة الرومانية، وهو في نظرهم رب الأرباب والبشر، والضوء والسماء ونور النهار والزمن والرعد

---

(1) - Saturne Africain ,Op.Cit., PP.245-246.

(2) - Salah-Eddine Tlatli, La Carthage punique,éd.,librairie d'Antique et d'orient, Paris, 1978,PP.186-187.

والصواعق، يتولى الإشراف على الطقس، فهو الذي يحدث المطر والرعد والبرق،ولهذه الأسباب كان يطلق عليه العديد من الأوصاف، فهو المضيء، العرّاف، محدث البرق والرعد أو المرعد، الممطر. **(أنظر الشكل رقم: 29،ب، ص.116).**

وقد اعتبر حامي الدولة،والمشرف على القوانين والمعاهدات والمواثيق التي تعقدها روما في الحروب وراعيها وناصر جيوشها، لهذا كانت تقدم له النذر وهو محّل الشكر والإمتنان، وقد لقب أحيانا بالإمبراطور أو الملك غير المقصّر،حامل الغنائم محب الأسلاب وجلاّب النصر ورب الأقدار.كما ارتبط بجوبيتر شعار اللون الأبيض،حيث كانت تقدم له الحيوانات البيضاء بواسطة كهنة يرتدون ألبسة بيضاء ولا يفتح هيكله إلاّ في أيّام الحرب ليخرج مع جيوش روما حتى يهزم الأعداء.

كانت للإله جوبتير معابد على قمة ربوة الكابتول في المدن الرومانية إلى جانب زوجته جونون وابنته "مينيرفا " "Minerve"، وعلى أساس ذلك أصبحت المعابد التي تقام إجلالا لهذا الثالوث الإلهي تحمل إسم (الكابتول)[1].

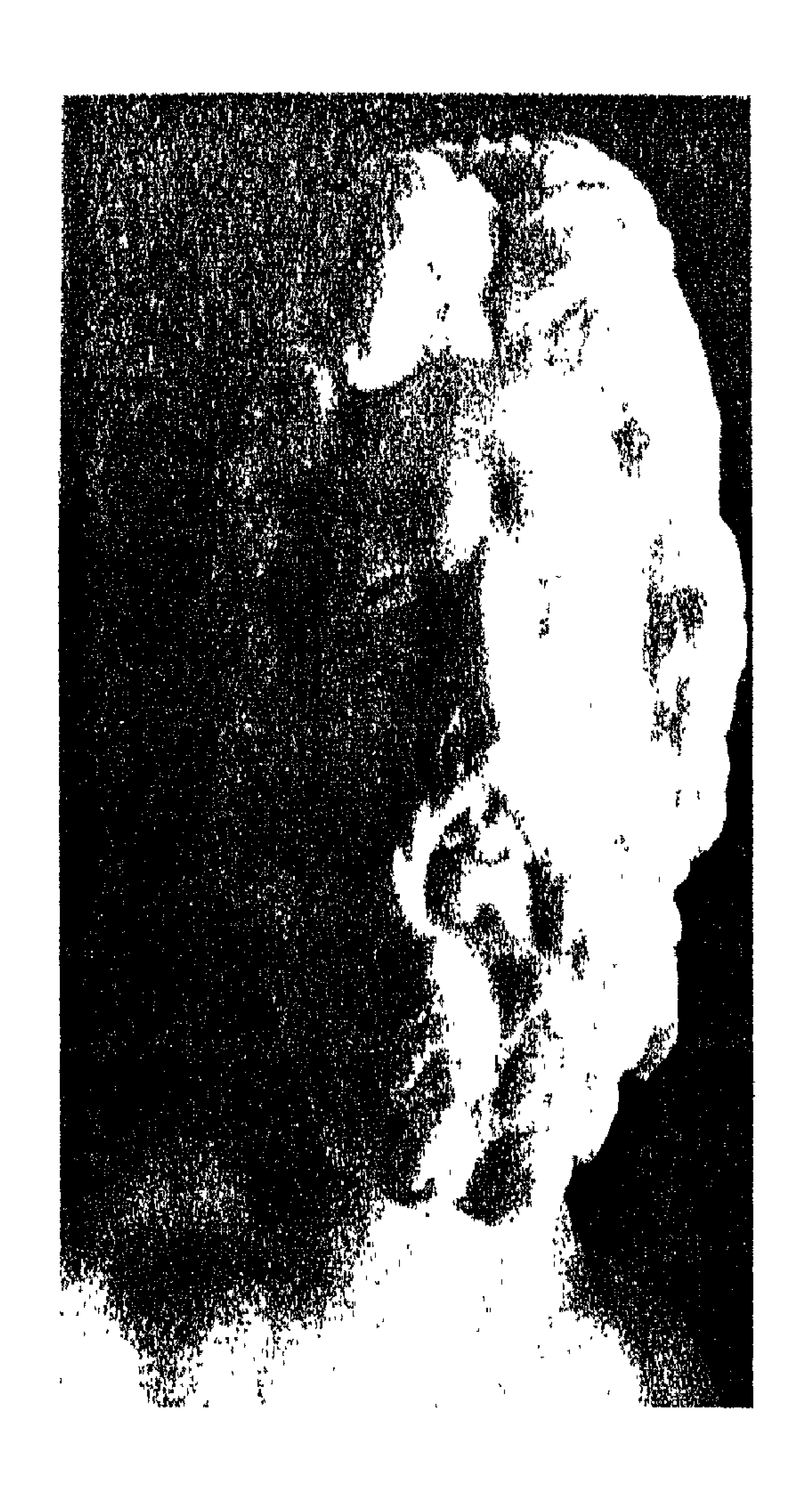
وغالبا ما يتحدّ في العبادة مع الإله ساتورن الذي هو استنساخ للإله بعل حامون القرطاجي في إفريقيا الرومانية وزيوس الإغريقي، وبذلك فهو الآخر يشخص طبيعة وظيفته على رأس مجمع آلهة (البانتيون الروماني). وقد ورد ذكر إسمه في كثير من النقوش اللاتينية والمشخصات والتماثيل التي عثر عليها في المواقع والمدن الأثرية بشمال إفريقيا[2].

---

(1) محمد حسين قنطر،**الحرف والصورة في قرطاجنة**.. ص. 316.

(2) - Louis leschi, Algérie antique , Arts et métiers graphiques, Paris, 1952





أ-صورة لتمثال الإله إيسكولاب

(متحف عنابة)

ب-صورة لتمثال الإله جوبيتر

(متحف قالمة)

الشكـــــل رقم: 29

5- الإلهـــة ديانـــا:

الإلهة ديانا"**Diana**"هي إلهة رومانية تقابل أرتيميس عند الإغريق،كانت ربة الضوء والغابات والجبال والخضروات، وحامية الحيوانات المفترسة وربة الحمل عند النساء، وإلهة القمر أحيانا.يقال أن ديانا كانت روح شجرة جيء بها من"أريسيا" "Arecia" عندما خضع هذا الإقليم للحكم الروماني.

وقد كانت هناك بالقرب من دوزة بحيرة"Mernie"حيث يوجد على ضفافها معبد للإلهة ديانا "diana" أصبح مزارا للحجاج الذين كانوا يعتقدون أن هذه الإلهة قد ضاجعت في ذلك المكان "Virbus" ملك الغابات الأول(1).

وقد عثر على تماثيل للإلهة ديانا في كل من تبسة و"زانة" "Zana" بالجزائر، وبعض المواقع الأخرى من بلاد المغرب القديم.كما أنها عرفت في موقع مدينة "زانة الأثرية" تحت إسم "Diana veteranorum"، وهو الاسم الذي عرفت به المدينة عند تأسيسها، ذلك لأن الذين أسسّوها كانوا جنودا من "الكتيبة الثالثة الأوغسطية" "Les Vétérans de la III Augusta"(2).

6- الإلهـــة فنـــوس:

لقد ظهرت الآلهة" **فنوس**" "**Vénus**" في العهد الروماني خلال القرن الثاني ق.م، وتعتبر إلهة الجمال والحب والحرب وكوكب الزهرة والزواج والشهوة والإخصاب عند الرومان، أما عند الفينيقيين فهي تقابل الإله"عشتاروت"، وكان يدعوها الإغريق باسم الإلهة "أفروديت"، ومن بين الشهور المقدسة لديها شهر "**أفريل**"، ذلك لأنه الزمن الذي تتفتح فيه الأزهار، وتتقارب فيه جميع المخلوقات تقاربا حميميا، تعبّر فيه عن الحب والغرام فيما بينها ونحو الطبيعة. (**أنظر الشكل رقم: 30، ص.118**).

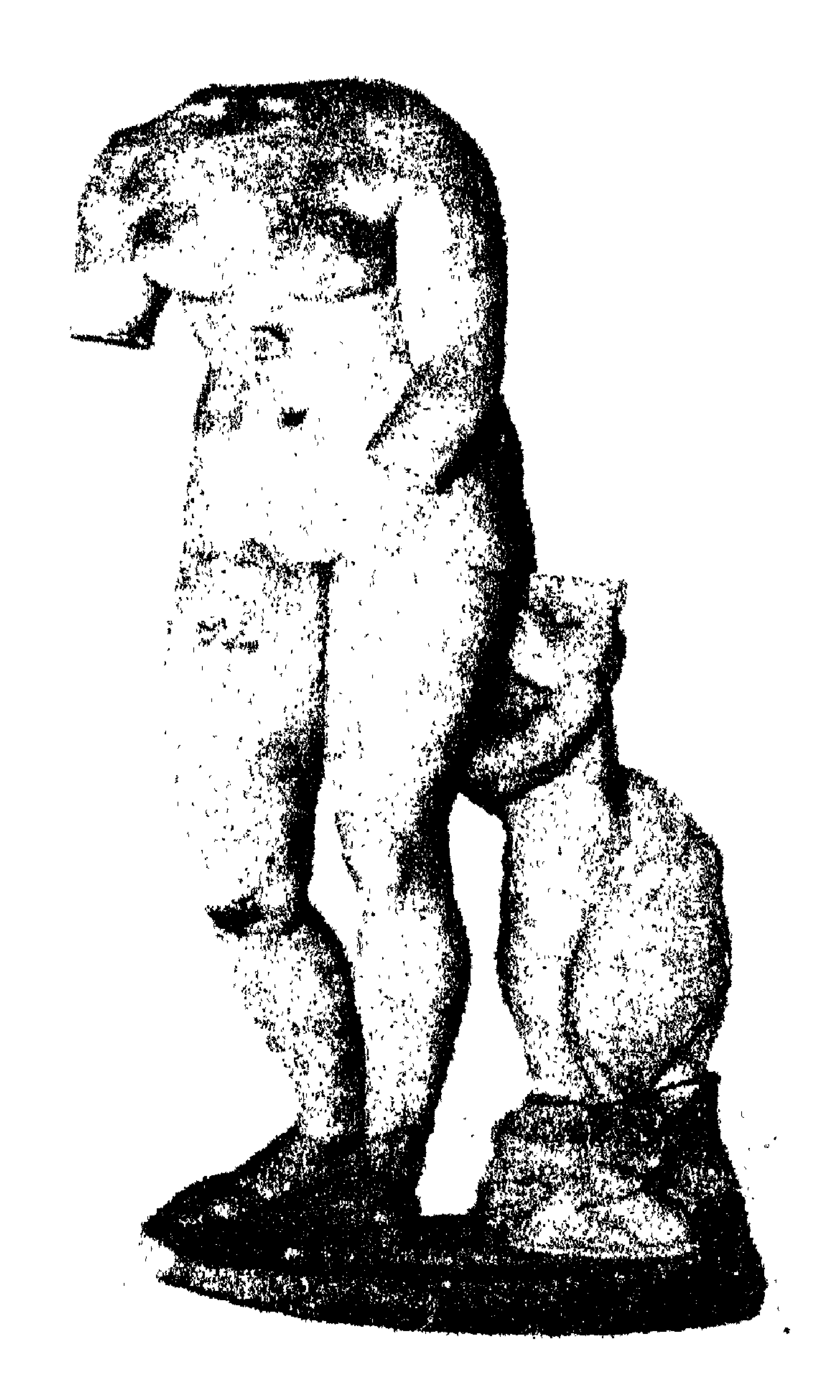
كما كانت أيضا الإلهة "أفروديت"تمثل ربّة قوى الطبيعة المنتجة،وربة الحدائق،ذاع صيتها أكثر عندما جعلها "يوليوس قيصر"جدّة عائلته، وجدّة الشعب الروماني ككل. وعليه فقد صوّرها الرومان في تماثيلهم بصور مختلفة تارة ترتدي تاجا على رأسها وتحمل غصن الزيتون والصولجان بيديها،كما صوّروها جالبة للنصر وهي نصف مغطاة تحمل رمحا في يدها اليمنى وبجوارها ذرع.

---

(1) ويل ديورانت، **قصة الحضارة (حياة اليونان)**،ج2، من المجلد الثاني، ترجمة محمد بدران،دار الجيل،بيروت، 1988ص.128.

(2) - Décret (F.) et Fantar (M.), L'Afrique du nord dans L'antiquité...P.200.

وقد وجدت للإلهة ديانا تماثيل كبيرة الحجم في كل من قصر فرعون"Volubilis" و"بناسة" "Banassa"، و"تمودة" "Tamuda" بالمغرب الأقصى[1].



صورة لتمثال الإلهة فنوس (متحف شرشال)

الشكـــل رقم: 30

---

(1) - Saturne africain,Mon.,1,P.292,N°4 ; Carcopino (J.),R.Afr.N.,IV.PL.VII,fig.3,P.277.

7- الإلــه مــارس:

الإله "مارس" "**Mars**"يرمز إلى كوكب المريخ، وهو إله الرومان، الذي يرمز للحرب،تطورت علاقته بالآلهة الرومانية الأخرى عبر تاريخ الرومان، حيث بقي دوره ضمنها واضحا، فهو مهندس المعارك،يتحكم في أفعال القوة الجسدية التي تضمن النصر، يرمز له برمح مقدس[1]. **(أنظر الشكل رقم: 32، ص.121).**

يلاحظ أن عبادة الإله "مارس" قد وجهت كلية نحو الحرب، ومعبده يوجد خارج الجزء المقدس للمدينة الرومانية، حيث لا يحق للسّكان البسطاء الدخول إلى هذا الجزء، ولا يفتح للعامة إلاّ في ظروف الحرب التي كانت غالبا ما تجري في شهر مارس ثم تمتد إلى شهر أكتوبر. وكان دور الإله "مارس " فيها ينحصر في حماية المحاربين من كل الأمراض وأشكال التهديد التي تتمثل في حصار الأعداء والأمراض الفتاكة ثم الزواحف والحشرات[2].

ومما ورد في الوثائق التاريخية والأثرية أن الإله مارس كان قد اشترك مع الإلهين "جوبيتر"و"كرونوس" في الثلاثية الإلهية الممثلة للوظائف الثلاثة الأساسية للمجتمع الروماني، حيث يمثل فيها"جوبيتر" الحكم الأرستقراطي. و"مارس" الحرب والنصر.

كما يعرف الإله مارس في النصوص الإغريقية باسم الإله أريس "Aris"،وقد ورد ذكر إسمه ضمن المعاهدة البونية التي أبرمت بين الرومان والإغريق سنة 215ق.م[3].

8- الإلهــة مينرفــا:

الإلهة مينرفا"Minerve" هي إلهة الحكمة والذاكرة ثم الصناعات اليدوية وهي التي تتحكم وتشرف على مجموعة الصنّاع والموسيقيين، وكانت في اعتقاد

---

(1) - Salah-Eddine Tlatli, Op.Cit.,PP.186-187.

(2) هفيــدرايف العابــد، **الآثــار الكلاسـيكية**،ط.3، منــشورات جامعـــة دمــشق، 1995-1996، ص ص.32-49.

(3) - Dussaud (R.),(Astarté), Pontos et (Ba'al), C.A.R.I., 1947,PP.218-236.

الرومان تمثل الركيزة التي تقف عليها سلامة روما، وقد أغراها "إينياس" "Aeneas" ثم جلبها من طروادة إلى روما بأساليب الحب والإغراء. (**أنظر الشكل رقم: 31، ص 120**).

ويلاحظ أن الإلهة منيرفا تعتبر من أقدم الإلهات الرومانية المنتشرة في إمبراطوريتها، حيث ترجع جذورها الأولى للحضارة الأتروسكية، وكانت تعبد على أساس أنها إلهة التفكير الراقي والفنون إلى جانب ارتباطها بأبويها الإله جوبيتر والإلهة جونون اللذين تشاركهما في وظيفتهما الدينية والسياسية. وقد عبدت مينيرفا في المغرب الروماني على أساس أنها استمرار للإله تانيت القرطاجية[1].



صورة للإلهة مينيرفا

الشكل رقم: 31

---

(1) - Picard (G.), religion de L'Afrique antique ,1959,PP.64-114.



-أ-



-ب-

صورة لتمثال الإله مارس (متحف شرشال)   صورة لتمثال الإلهة مينيرفا (متحف عنابة)

الشكـــــــل رقم: 32

9- الإلـــه مركـــور:

اقترن إسم الإله" **مركور**" "**Mercure**"باسم الإله الإغريقي "هرمس" "Hermés"، وهو كوكب عطارد، ويعتبر من أبناء الإله زيوس، ورسول الآلهة الناطقة باسمه كما يسمى بإله التجار واللصوص، وكان ينير طريق المسافرين،

وهو حامي الرعاة. ومن أخطر وظائف الإله مركور توجيه أرواح الأموات ومرافقتهم نحو العالم السفلي، لذلك أطلق عليه مرافق الأرواح[1]، وفي كثير من الأحيان يظهر في صورة شاب واقف وبيده كيس من النقود التي تملأ قلنسوته ويستعمل خفين مجنحين في رجليه، ثم يمسك بيده صولجان مجنح تلتف حوله حيتان. **(أنظر الشكل رقم: 33، ص.124).**

وقد ارتبطت عبادة مركور في شمال إفريقيا بأشجار الزيتون والنباتات والغابات الخضراء ولذلك لا غروة أن يكون من آلهة الخصب،وهو في ذلك يلتقي مع الإله ساتورن. وقد وجد للإله مركور تمثال يبدو عاريا فيها أحيانا وأخرى نصف عاري وذلك بوسط أطلال مدينة قرطاجة الرومانية، وفي موقع "عزيز بن تليس " وموقع مدينة"سطيف"[2].

ومن جهة أخرى يقترب مركور من إله محلي أو مغاربي يتمثل في الإله "Silvain" الذي كان يعبد في إفريقيا الرومانية -البروقنصلية من قبل الليبيين أو القرطاجيين، ومن وظائفه غير تلك التي أشرنا إليها أنه كان رئيس التجار وحاميهم[3].

10- الإلهــة جونــون:

اعتبرت الإلهة **"جونون"** **"Junon"** عند الرومان من أعظم الآلهة الرومانية، باعتبارها زوجة الإله جوبيتر، كانت راعية للنساء، خاصة المتزوجات منهنّ،وقد عرفت بالعنف والضغينة وحب الإنتقام، كما كانت لها وظيفة سياسية، حيث تشارك زوجها وابنتها "منيرفا" "Minerve" في الحكم، ولعلها هي نفسها الإلهة تانيت التي تحولت إلى "كايليستيس" في الفترة الرومانية في شمال إفريقيا، وتقابل

---

(1) محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص. 315.

- Leglay ,Saturne Africain,T. Histoire ,PP.29-31. (2)

(2) - Picard (G.), R.Afr.Ant.PP.64-114.;Gauckleur (C.), Enquête sur les installations hydrauliques Romaines en Tunisie, Tunis, 1897-1912 PP.160-161.

الإلهة "Hera" (هيرا) عند اليونان والإلهة تانيت لدى القرطاجيين[1]، وهي واحدة من الثلاثي الذي يكوّن البانتيون الروماني في مدينة روما وشمال إفريقيا[2]. (**أنظر الشكل رقم: 34، أ، ص.125**).

11- الإلـــه أبولـــون:

يعدّ الإله "**أبولون**" "**Apollon**" الإغريقي،"**هيليوس**" "**Helios**" الروماني من بين الآلهة الإغريقية الهيلينية الإسم[3]، ولد بجزيرة ديلوس، وكانت له أخت تدعى "أرتميس" "Artémis"، يعتبر إله الشمس والمعرفة والتوازن والجمال والضوء والفنون عند اليونان، وهو يشبه الإله البوني "بعل حامون" على أساس علاقته بقرص الشمس. وقد ورد في العديد من النصوص الإغريقية واللاتينية،إشارات لهذا الإله وذلك لأن الإغريق والرومان كانوا ينسبون الأعلام الإلهية إلى مجمع آلهتهم[4]. (**أنظر الشكل رقم: 34، ب، ص.125**).

وكان للإله أبولون العديد من المعابد مثل معبدي "**بولا ريجية**" و" **مكثر**" ثم معبد "كرونوس" الذي كان مشهورا،حيث يتدخل لمنع نقمة الآلهة عن العبّاد الرومان أو الذين ترومنوا في شمال إفريقيا[5].

---

(1) – هيدرايف العابد،المرجع السابق،ص.36. -Ibid.;

- .Gsell (S.), H.A.A.N.,IV,P. 387 (2)

(2) - Apollon romain ,Essai sur le culte d'apollon et le développement du ritus graecus à Rome des origines à Auguste, Paris ,1955,PP.226-231.

(3) - Picard (G.C.), Op.Cit. , P. 101. et Suiv.

(4) - Gustave(M.), Les divinités libyques ,1900,PP.177-193. ,R.S.A.C.



صورة لتمثال الإله مركور (مدوروش)

الشكـــــل رقم: 33



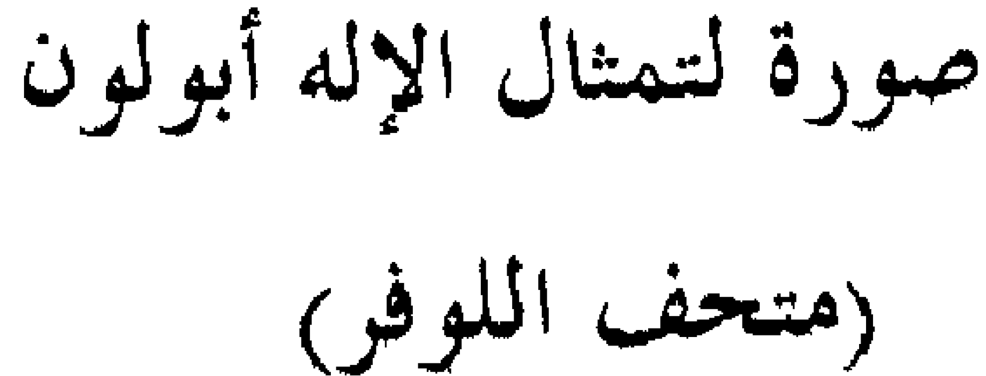
-أ-

صورة لتمثال الإلهة جونون (هيرا)

(متحف كوبنهاجن)



-ب-



صورة لتمثال الإله أبولون

(متحف اللوفر)

الشكل رقم: 34

12- الإلـــه باكـــوس:

يشخص الإله"**باكوس**" "**Bacchus**" عند الرومان إله الخمر والعربدة،يظهر تمثاله عاريا في غالب الأحيان ثملا يمسك بيده عنقود عنب.ويماثله في ذلك الإله اليوناني "ديونسيوس" "Dionysos" الذي هو إله الخصب والإنبات خاصة أشجار العنب التي تجنى منها الخمور وهو ابن الإله زيوس "Zeus" وابن " سميلي" "Sémélé" [(1)]. (**أنظر الشكل رقم: 35، ص.127**).

(1) - Paul Gauckleur,Musée de Cherchell,éd.,Ernest le rousé,Paris, 1895, PP.118-120.

وقد ساهمت عبادة الإله باكوس عند الرومان في تطوير التراجيديا والفن الغنائي وكذا القصائد الحماسية.وجدت للإله المشار إليه عدة نصب وتماثيل زخرفت بعناقيد عنب،عثر عليها في كامل المدن الرومانية مثل: "خنشلة" و"لمباز" ثم "جميلة" و"تاميقادي" وغيرها من المواقع والمدن الرومانية في الجزائر، وكذا نصب "الليس" بتونس[1].

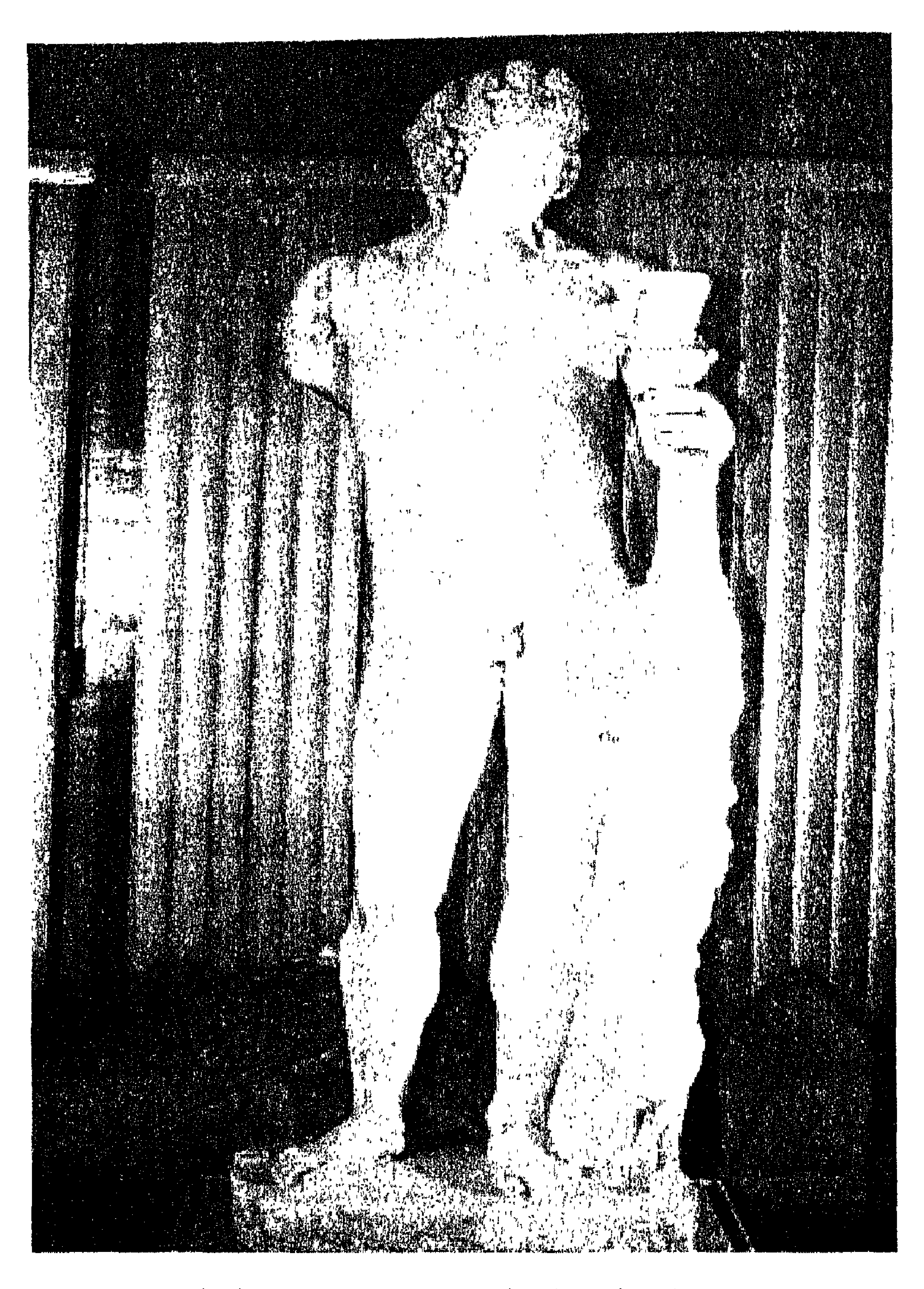
13- الإلــه نبتــون:

الإله **نبتون** "**Neptune**" هو إله البحر عند الرومان، يعرف في النصوص الإغريقية بالإله "**بوسيدون**" "**Poséidon**" الذي هو إله المياه والساهر على الملاحة في البحار والمحيطات والأودية وهو إله الكواكب التي تضيء المسطحات المائية للبحارة، غير أن هذا الإله لم يعبد إلا في المناطق الساحلية،وبالقرب من الينابيع والعيون.وقد كانت تقام للإله نبتون الاحتفالات في شهر جويلية وهي ما يصادف فترة الجفاف الصيفي، ثم أصبح إله البحر عندما إلتقى في الوظيفة مع الإله الإغريقي بوسيدون والإله الليبي تريتون[2]. **(أنظر الشكل رقم:36، 128).**

وفقا لما سبق فإن الإله نبتون كان يحتل مكانة هامة في المناطق الزراعية التي تشقها الوديان والمياه الجارية،حيث أنه كان يعبد كإله البحر على سواحل كل من "القل" "Chulu" وبجاية "Saldae"، بينما يتحول إلى إله المياة الجارية والينابيع في المناطق الداخلية مثل المناطق العليا القسنطينية والتونسية. حينئذ فإن الإله نبتون هو الحامي لمصادر المياه التي لها صلة بالمعابد مثل ما وجد في" قفصة" وبقية المناطق الأخرى في شمال إفريقيا ذلك لأن عبادته تكاد تختص ببلاد المغرب القديم[3].

---

(1) - Picard (G.),B.A.C.,1946-1949, P.377 et Rel.Afr.Ant., P.145,fig.14.
(2) - Haddadou (M.A.), Les berbères célèbres, éd., Alger, 2003.P.8.
(3) - Muller, Géographie Graeci Minores , éd.,1882,I. PP.90-111.



صورة لتمثال الإله باكوس (متحف سيرتا الوطني)

الشكـــــل رقم: 35



صورة للإله نبتون (المكتبة الوطية بباريس)

الشكـــــل رقم: 36

14- الإلـــه ديونيسيوس:

الإله "**ديونيسيوس**" "**Dionysius**" عند الإغريق هو إله الكروم والخمر،وقد عرف في النصوص اللاتينية باسم "باكوس" "Bacchus" يرافقه الأسد والنمر وعادة ما تقام له احتفالات دينية يسيطر عليها الخمر والرقص والموسيقى[1].

ووجدت له تماثيل في المواقع الأثرية بتبسة وكان رمزه قد ظهر على العديد من القطع النقدية التي ضربت في المدن الفينيقية لمنطقة السيرت ومدن السواحل الجزائرية القديمة الحالية، كما ظهرت لنفس صور الإله على القطع النقدية التي ضربت باسم الملك الموريطاني "بوخوس"[2].

---

(1) محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص.313.

(2) - Gsell (St.), H.A.A.N., T.VI ,P. 159.

15- الإلهــة سيراس:

كان للإلهة "سيراس"**Céres**" ذات الأصول النوميدو-إغريقية علاقة مع الإلهة "Demetre" و"كوري" "Corée" الإغريقيتين ويعتقد أن عبادة هاتين الإلهتين الأخيرتين كانتا قد دخلت إلى بلاد المغرب القديم عن طريق صقلية، ثم انتشرت في قرطاجة. وبعد ذلك تجاوزت نحو المناطق الغربية أي إلى نوميديا الشرقية، وفي فترة العاهل "ماسينيسا" دخلت عبادة إلهة الزراعة سيريس إلى نوميديا، بينما كانت منتشرة قبل ذلك عند القرطاجيين(1).

وحسب الأسطورة اللاتينية، فإن اسم الإلهة سيراس الميثولوجي يدل على أنها خرجت من الأرض، لذلك سميت بإلهة الخصب وكانت تسهر على زراعة القمح وازدهار الفلاحة وكامل النباتات الأخرى.ولقد كانت للإلهة سيراس أهمية في قرطاجة، حيث أقيم لها معبد بمقتضى قانون صادق عليه "مجلس الشيوخ" القرطاجي، وذلك سنة (396ق.م)، إلى جانب ذلك ظهر لها رسم على القطع النقدية وعلى النصب النذرية.

كما كانت سيراس أحيانا تقترن بالإلهة الرومانية "Junon" وبقية الآلهة الزراعية "Les Cereres" الذين كانوا من أصل إغريقي ترومنوا وعبدوا كآلهة محلية في شمال إفريقية.ومع ذلك فإن عبادة الإلهة سيراس المتوغلة في القدم تلتقي في عبادة الخصب مع الإلهة القرطاجية تانيت(2).

16- الإلــه بلوتــون:

لقد وجدت تماثيل للإله "**بلوتون**" "**Pluton**" في كل من "فولوبيليس" "Voliwbilus" وقرطاج ولبدة الكبرى "Lipcis Magna" "ثم شرشال واشتق اسمه من اسم الإله الإغريقي "بلوتوس" "Ploutos" الذي يعني الغنى والثروة. وقد عبد الإله بلوتون عند الرومان على أنّه "إله الخصب "، وكان يدعى أيضا

---

(1) - Carcopino, Le culte des céres et les numides, R.H.TC.LI -X,1928,PP.21-22.
(2) - Picard (G -Ch.),Op.Cit.,P.101.

أب الأغنياء والأثرياء، وأضيفت له وظيفة إله العالم السفلي، كان نظيره الإله "حدد" "Hadad" في ساحل المتوسط الشرقي.

وقد كان للإله بلوتون معابد في المدن الرومانية في شمال إفريقيا تقدم له فيها الأضاحي الحيوانية[1]، غير أنه وقع الخلط بينه في العبادة وبين الإلهة تانيت وبعل حمون البونيين وساتورن الروماني ثم إزيس المصرية. وكان الرومان قد قارنوا في العبادة بين بلوتون والإلهة كايليستيس من حيث الخصوبة وحماية النباتات.

وهكذا يمكن أن نقول أن مجال عبادة الآلهة الرومانية في شمال إفريقيا كان يشمل الرومان الذين حلّوا في المنطقة كمعمرين والمغاربة الذين ترومنوا،وكذا الأفارقة الذين تأثروا بسياسة الرومنة دون أن يستطيعوا مقاومتها. ضف إلى ذلك بقايا المعبودات المحلية التي تدخل في الموروث الحضاري الليبو-نوميدي.

وقد كانت تلك العبادة والطقوس الدينية الرومانية تكتسي صبغة روحية سياسية ذات معطيات نفسية تظهر فيها سيادة السادة على تابعيهم،ذلك لأن الديانة الرومانية التي تسلسلت في التدرج عن الإله "ساتورن" الإغريقي والثالوث "جوبيتر وجونو ومنيرفا"، وغيرهم من بقية الآلهة الأخرى الذين هم في الحقيقة يعتبرون استنساخا للآلهة الليبو-بونية الذين عبدوا في المنطقة قبل ذلك.

ومن جهة أخرى كانت الديانة الرومانية قد ارتبطت في ذهن المغاربة بسياسة الهيمنة التي كانت تصنفهم في درجة أقل حظ من -حيث الجانب الروحي والاقتصادي ثم الاجتماعي - من الأثرياء الرومان وملاّك الأرض، تلك السياسة التوسعية الموشاة بغطاء ديني كان مصدرها شبه جزيرة إيطاليا.

غير أننّا يمكن أن نشير إلى أنه بعد إصلاحات الديكتاتور قيصر واستقرار الستيانيين في شمال شرق نوميديا، فإن الالتحام بالديانة الرومانية قد أصبح ضرورة ملحّة بالنسبة للأفارقة المترومنين، وذلك حتى يشاركوا في عقلنة

---

(1) - Guirand et Schmidt (J.), Op.Cit., P.810.

موضوع العبادات والطقوس الرومانية التي أصبحت حينذاك عالمية رومانية تقدّس،بل وتفرض في بعض الأحيان في الإمبراطورية الرومانية بكاملها، وذلك تبعا لسيادة الدولة الرومانية التي كان محورها الأساسي هو فرض إيديولوجية الرومنة بكامل محاورها السياسية والدينية والتوسعية ثم اللغوية إلى درجة أن شعارها كان هو تثبيت السلم الرومانية (Pax romana) (La paix romaine).

ويلاحظ أن الإمبراطور الروماني "تيبيريوس" "Tibère" كان هو الآخر قد قاوم الجانب الدموي الذي كان موروثا حضاريا دينيا عند القرطاجيين "مولخمورو" قبل ذلك وفي عهد الفلافيين "Flaviens" والأنطونيين "Antoniens" والسيفيريين "Sévériens"[1] فيما بعد،كانت سياسية الرومنة قد حاولت أن ترتدي ثوب الديانة الوثنية وقد بدا ذلك واضحا في نحت التماثيل والزخرفة العمرانية التي كانت كلها ذات مسحة رومانية تبرهن بما فيه الكفاية عن إلحاق شمال إفريقيا من حيث الديانة بالدولة الرومانية، الأمر الذي أدى إلى إختفاء كامل مظاهر الآلهة والعبادة المحلية النوميدو-موريطانية.

(1) - Ramboud (M.), L'art de la déformation historique dans les commentaires -de césar, Paris, 1953, PP.332-341.

الخاتمة

لم تبق تجربة الإنسان في مرحلتها الباكرة جامدة، لاسيما بعد أن قطع شوطا بعيدا في تلبية غرائزه المادية، بل إستوقفته عدة ظواهر معنوية جعلته يفكر فيما حوله في هذا الكون من تصارع بين الخير والشرّ.

فالأسد الذي كان يفترسه كان يمثل له إله الشر والشمس التي كانت تبعث فيه الدفء وتضيء له الكون تمثل إله الخير لذلك كان يتقرّب منها ويتوسم فيها كل أنواع الحياة والأمل، وبذلك رسمها على رأسيي الكبش والثور وعلى واجهة الصخور والنصب الجنائزية.

وهكذا نراه يلتمس النفعية في آلهة المياه والكهوف والمرتفعات الجبلية والأشجار الباسقة ثم الآلهة الطوطمية المتمثلة في الحيوانات بأنواعها.

إلى جانب ما سبق عبد الإنسان القديم قبور وأضرحة رؤساء القبائل والملوك،حيث أنه أفرد لهم مكانة في حياته الطقوسية مثل النوم على القبور وتقديس أسيجة كل من البازيناس والدولمن والحوانيت وكذا الأضرحة ثم امتد فكره بعد ذلك إلى وضعيات الدفن والهدايا الجنائزية التي توضع مع الجثة داخل غرفة الدفن أو القبر.

و لم يتوقف الإنسان القديم عند ذلك فحسب، بل مارس طقوس طلاء الجثث بصباغة (المغرة) اعتقادا منه بأن ذلك الطلاء الأحمر يماثل الدماء التي تسير في العروق البشرية أثناء دورة الحياة، وما الموت إلاّ ذلك الجسر الذي يربط بين مرحلتين.

وقد دفع الإنسان تفكيره أثناء دفن الميت إلى تزويده بكل ما يحتاجه من الضروريات التي تجلب له السعادة في حياته الأخرى.

وهكذا نرى أنّ الفكر الديني في بلاد المغرب القديم، لاسيما المحلي منه كان يتطور بتطور حياة الإنسان الذي لم يطمئن في الدارين إلاّ بالامتزاج الديني الوثني المحلي والوارد، لا سيما بعد اتصاله بحضارات الشرق القديم وبلاد الإغريق

وشبه جزيرة إيطاليا، ذلك لأن هذه الحضارات الأخيرة توصلت مجتمعاتها إلى اختراع الكتابات التصويرية بأنواعها ثم الأبجديات التي استمدت منها، وركبت عباب المصطلحات المائية وبذلك تفتقت ذهنيات أصحابها بعد الاحتكاك ببعضهم البعض، حيث كانت نتيجة كل ذلك التوصل إلى ديانات التوحيد التي تعتبر محطة أكثر من هامة في حياة البشرية بصفة عامة.

وفقا للمنظور السابق فإن الدارس للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا يجده يتمحور في نقطتين أساسيتين:

- أولاهما: مظاهر الفكر الديني المحلّي المستمد من الحياة المعاشة،وثانيهما: الفكر الديني الوارد إلى المنطقة،ويمكن أن نلتمس بصمات هذا الأخير في بداية الأمر في التأثيرات الدينية المصرية بحكم الجوار الجغرافي والامتداد التاريخي لليبيين ضمن العمق المصري، حيث أسسوا الأسر (22، 23، 24) التي كان حكامها فراعنة ليبيين سهروا على خدمة الديانة المصرية في كل من" طيبة " وواحة "سواه" و"دلتا النيل".

يضاف إلى ذلك الامتزاج الديني الليبي-الفينيقي، حيث عبد القادمون الجدد الديانة المحلية وأعطوها مكانة في معابدهم داخل مدنهم،كما عبد المغاربة بدورهم المعبودات الفينيقية الواردة إلى بلادهم وذلك في إطار الامتزاج الحضاري الذي سايروه لمدة تزيد على سبعة قرون، انفتحوا خلالها على ثقافات البحر المتوسط التي تأتي على رأسها الكتابة والديانة اللتين بقيت آثارها تشهد في اللقى الأثرية التي اكتشفت في مواقع مدنهم ومحطاتهم الساحلية في شمال إفريقيا.

أما منذ القرن الثاني قبل الميلاد وبمجيء الغزو الروماني فقد أصبحت الديانة الرومانية الوثنية تهيمن في المنطقة على كامل الديانات الأخرى،وقد كانت تلك الديانة ذات معطى مادي تتسم بالقساوة في حق الأفارقة وتسخيرهم في كثير من الأحيان إلى خدمة السادة الرومان الذين كانوا لا يفرقون بينهم وبين الطبقة السفلى التي تتمثل في عبيدهم.

ومهما حاول الرومان تجريد الإله "ساتورن" من شخصيته الإفريقية الليبية — البونية، فإنه على العكس من ذلك كان المغاربة القدماء قد إتخذوا منه إلها محليا تقمص شخصية الإله بعل حامون الذي نقش اسمه على كثير من النصب ذات الكتابة البونية والبونية الجديدة التي ظهرت في الفترة ما قبل الرومانية في بلاد المغرب القديم.

ويلاحظ أنه خلال فترة التوسع التي قادتها الدولة الرومانية تغلغلت التأثيرات الإغريقية في الديانة الرومانية وأخذ هذا التغلغل مظهرين واضحين تماما هما: تشبيه الآلهة الرومانية بالآلهة الإغريقية المتماثلة في الخصائص.

أما المظهر الثاني،فقد تمثل في استعمال الأساطير الدينية الإغريقية التي سبقت الفترة الرومانية، وذلك بعد امتزاجها بالروح والذهنية الدينية الرومانية،وتدريجيا بدأ الرومان يعترفون رسميا بمجوعة من الآلهة الإغريقية الإثني عشر التي كانت تشكّل مجمع آلهة "الأولمبيوس" والتي تماثل آلهتهم، ووفقا لذلك كانت النتيجة الطبيعية هي أن الآلهة ذات الأصل الإغريقي حلّت محلّ الآلهة اللاتينية الصغرى، وأنّ الآلهة الرومانية غير المشخصة اتخذت أشكالا آدمية مثل الآلهة الإغريقية، مّما أدّى إلى كثرة الطلب على إنتاج تماثيل للآلهة الرومانية على غرار تماثيل الآلهة الإغريقية.

وفي هذا المجال يذكر المؤرخ المسيحي" تورتوليانوس" أنّ هناك إلهة ليبية تحت إسم "فارسوتينا مورريوم" "Varsutina maurorum" التي كانت تعبد في شمال إفريقيا وقد أرجعها الأديب أرنوب "Arnobe" إلى أصل موريطاني، ولا يستبعد أن تكون موازية أو استمرارا لإلهة الزراعة" كايليستيس "العائدة إلى الفترة الرومانية،والتي تعتبر إستنساخا من حيث الوظيفة للإلهة "تانيت البونية" التي كانت هي الأخرى تعبد في بلاد المغرب القديم.

إلى جانب المعبودات التي أشرنا إليها سابقا عبد الرومان أباطرتهم وفرضوا تلك العبادة على المستعمرات التي شملتها إمبراطوريتهم المترامية الأطراف، مما أدى بهم إلى نحت تماثيل لأولئك الأباطرة في العواصم والمدن والقرى الزراعية

وحتى البلديات التي كانت تابعة لمدنهم الكبيرة،وبناء عليه كان في كلّ مدينة أو بلدية معبد يكلف به كاهن للسهر على عبادة الإمبراطور.

وقد شملت عبادة الإمبراطورية أسرة الأباطرة الحكام فيما بعد، وهكذا نرى أنّه في فترة الإمبراطور "أوجوست""August"قد وجدت هناك في هيبون (عنابة) تماثيل من البرونز عثر عليها سنة 1947 تعود إلى عهد يوبا الأول تخلّد الإله الإمبراطور أوجوست "Gens Augusts" كإله.

وقد استمرت عبادة الأباطرة الآلهة بإفريقيا متداولة بين معتنقيها في إفريقيا حتى وقت متأخر من القرن الثالث ميلادي ويعود الفضل في ذلك إلى الإمبراطور "Septime Sévere" الإفريقي الأصل الذي كان يمجّد تلك العبادة،وهناك تماثيل منتشرة لهذا الإمبراطور وأسرته، لا سيما أبناءه الذين حكموا بعده في كلّ من "جميلة "و"تبسة " و"تميقادي "و"لبدة "بليبيا، وغيرها من المدن الإفريقية القديمة ذات النشأة الرومانية.

ومن جهة أخرى كانت الديانة المسيحية في بداية أمرها لم تستطع أن تقضي على استمرار عبادة الأباطرة التي تعتبر عبادة وثنية إلاّ في عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير الذي اعتنق هو وحاشيته ديانة التوحيد (المسيحية) ثم انتصر لها وأسّس لها كنائس يسهر على خدمتها أساقفة وشمامسة، ولا غروة أن يشمل ذلك شمال إفريقيا التي أنشئت فيها كنائس كاثوليكية متعددة نذكر منها كنيسة مدينة قرطاجة الرومانية وهيبون "عنابة" ثم بقية المدن الأخرى المنتشرة هنا وهناك في شمال إفريقيا، والتي شملتها الديانة الوثنية الرومانية فيما عدا منطقة الصحراء.

يبدو أن الاختلاف الأساسي بين الديانات القديمة والعقائد السماوية أن هذه الأخيرة تتجاوز حدود هذا الكون،إذ أنّها تبشّر من اعتنقها بالسعادة الأبدية في العالم الآخر أو تهدده بالعقاب الصارم، في حين أنّ الديانات الوثنية القديمة كانت مرتبطة بمجريات الحياة اليومية.

ولأغراض دينية بحتة في بداية الأمر وسياسية تناهض الاستعمار الروماني فيما بعد، إنشقت عن الكنيسة المسيحية الكاثوليكية الحركة الدوناتية التي كانت المحّرك المعنوي الفكري لمناهضة تسلط الرومان الاستيطاني في بلاد المغرب القديم خلال القرنيين الرابع والخامس الميلاديين.

وهكذا نرى أنّ الإنسان المغاربي لم يجد الإجابة عن الحيرة التي كانت تنتابه وتكدّر حياته وبالتالي تدفعه باستمرار للبحث عن الإطمئنان وإستباري أسس وتعاليم هذا الكون إلاّ في ظلّ الديانات السماويّة المتمثلة في الديانة الحنيفيّة واليهوديّة ثم المسيحيّة والإسلام. تلك الديانات السماويّة التي هذبت بنصوصها وتعاليمها السمحة روح الإنسان وبعثت فيه الإطمئنان الأبدي الذي لا يضاهى عند التمسك بالنصوص التي وردت في الكتب السماويّة وتطبيقها في حياة الفرد والجماعة.

ومع ذلك فإن الأباطرة والحكام الرومان في بلاد المغرب القديم،حاولوا أنّ يستغلوا المسيحية لتثبيت سلطتهم الزمنية،وذلك ما أثار حفيظة المغاربة القدماء للوقوف في وجه تطبيق إيديولوجية الرومنة التي حاول مطبقوها الاستعانة ببعض المجادلين المسيحيين ورجال الكنيسة،ممّا ترتب عنه دفع بعض المغاربة بالعودة إلى ديانتهم الوثنية القديمة،لاسيما في الفترة الممتدة ما بين القرنين الرابع والسادس ميلاديين، وهي المرحلة التي تأججت فيها الثورات المغاربية بغية التخلص من الهيمنة الرومانية.

وهكذا وجد المغاربة القدماء ضالتهم منذ القرن السابع ميلادي في الفتوحات العربية الإسلامية التي سوّت بين العرب والأمازيغ، هؤلاء الأخيرين الذين اعتنقوا الديانة الإسلامية كمنهاج حياة واللغة العربية كلسان مبين وكل ذلك كان عن قناعة دون إكراه،وبذلك أتيحت الفرصة للجميع للاندماج تلقائيا في خلق مجتمع جديد يرتكز على تعاليم الدين الإسلامي السمحة التي تجعل معتنقيها يتحاورون وينفتحون على أصحاب كامل الديانات الربّانية الأخرى في هذا الكون.

قائمة المصادر والمراجع

أ- باللغــــة العربيــــــة:

- أندري جوليان شارل:

– **تاريخ شمال إفريقيا**، ترجمة محمد المزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر 1969.

- ابن خلدون عبد الرحمن:

– **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، المجلد السادس، دار الكتاب اللبناني، 1968.

- بالــوليونــال:

– **شمال إفريقيا قبل التاريخ**، ترجمة وتقديم محمد الصغير غانم، مط. دار المعارف، سوسة تونس، 2001.

- باقــرطــه:

– **ملحمة كلكامش**، مطبعة وزارة الثقافة والإعلام، العراق 1975.

- ديورانت ويل:

– **قصة الحضارة (حياة اليونان)**،ج2، من المجلد الثاني، ترجمة محمد يدران، دار الجيل، بيروت، 1988.

- هورنوج أريك:

– **ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعددية**،ترجمة محمود ماهر طه ومصطفى أبو الخير مط.مكتبة مدبولي مصر، ب.ت.

- هفيدرايف العابد:

– **الآثار الكلاسيكية**،ط.3، منشورات جامعة دمشق، 1995-1996.

- حارش محمد الهادي:

– التاريخ المغاربي القديم (السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992.

■ خشيم علي فهيمي:
- **نصوص ليبية**، ترجمة لكتاب هيرودوت، دار مصراتة، 1967.
■ الطاهر عبد الجليل:
- المجتمع الليبي (دراسات اجتماعية وانثروبولوجية)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 1969.
■ موسى لقبال:
- **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1979.
■ مصطفى كمال عبد العليم:
- **دراسات في تاريخ ليبيا القديم**، المطبعة الأهلية بنغازي ليبيا 1966.
■ الناضوري رشيد:
- **المغرب الكبير**، ج1، دار القومية للطباعة والنشر،1966.
- **المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا**،ج1، دار مكتبة الجامعة العربية بيروت 1968.
- **المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني**، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1969.
■ نعمة حسن:
- موسوعة الميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت 1994.
■ السواح فراس:
- موسوعة تاريخ الأديان، ج1.
■ عصفور محمد أبو المحاسن:
- **الديانة الفينيقية**، مجلة المعرفة، ترجمة الدكتور نجيب غزاوي، العدد:407، أيلول 1997.
المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
■ العقون أم الخير:
- **الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية**، دكتوراه دولة، نوقشت بقسم التاريخ،جامعة وهران، 2003-2004.

■ غانم محمد الصغير:
- **التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط**، مط. دار الهدى، 2003.
- **المساهمة الحضارية البونية في المملكة النوميدية**، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ المغرب القديم والآثار البونية، نوقشت بجامعة قسنطينة، 1996
- **المملكة النوميدية والحضارة البونية**، مطبعة دار الأمة، الجزائر 1998.
- **التواجد الفينيقي –البوني في الجزائري** (رسالة دكتوراه دولة الدرجة الثالثة، نوقشت بمعهد التاريخ، الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة 1981.
- **المقبرة الميجاليتية ببونوارة الشرق الجزائري**، مجلة العلوم الإنسانية، ع8، جامعة منتوري قسنطينة 1997.
- **نقيشة دوقة الأثرية (دارسة لغوية وتاريخية)**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع10، قسنطينة 1998.
- **بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب**، مجلة الحوار الفكري، ع2، مطبوعات جامعة منتوري 2001.
- **الملامح الفكرية للعصر الحجري الحديث**، مجلة العلوم الإنسانية ع.8 منشورات جامعة منتوري، 1997.
■ فنطر محمد حسين:
- **الحرف والصورة في عالم قرطاج**، منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس 1999.
■ شباحـــي مسعـــود:
- **الديانة القديمة في مصر وبلاد الرافدين**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، نوقشت سنة 2001.
■ شالـــي فيلسيـــان:
موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجمالي،ط.1، دار طلاس دمشق، 1991.

ب- باللغــــة الأجنبيــــة:

(A)

- **Angustain (St.), sermons CX C VI, 4.**
- **APOLLON ROMAIN,**
  - Essai sur le culte d'apollon et le développement du ritu graecus à Rome des origines à Auguste, Paris ,1955.

(B)

- **BALLOUT (L.),**
  - Préhistoire de l'Afrique du nord, éd. Arts et Métiers Graphiques, Paris 1955.
  - Algérie préhistorique, éd. Arts et Métiers Graphiques, Paris 1958.
- **BALLU (A.),**
  - Rapports sur les travaux du service des Monuments Historiques de l'Algérie partie III.
- **BASSET (R.),**
  - Recherche sur la religion de barbare , R. H. R., 1910.
  - Revue de l'histoire des religions, 1910, 1, P. 246
  - Bates the Estern libyan, Londres 1914.
- **BASSET (H.),**
  - Les influences puniques chez les barbares ,R.Afr., 1921,. T.LXII
- **BENABOU (M.),**
  - La résistance africaine à la romanisation, édition, Paris ,1975.
- **BERTHIER (A.) ET CHARLIER (R.),**
  - Le sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine (texte et planche), Arts et métiers graphiques , Paris ,1955.
  - Le Sanctuaire punique d'ELHofra à Constantine, Paris,1955, Inscr.N°.6,8,11,14,15.
- **BOISSIER (G.),**
  - La religion romaine , T.1, Paris , sans date.

(C)

- **C. I. L., VIII, 18752**
- **CAMPS (G.),**
  - Berbères , Aux Marges de l'histoire,éd. des Hespérides, 1980.

- Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara, éd. doin, Paris 1974.
- Masinissa ou les débuts de l'histoire, Libyca, T. VIII, 1960.
- Monuments et rites Funéraires, protohistoriques, éd. Arts et Métiers Graphiques, Paris 1961, P. 461.

- **CARCOPINO (J.),**
  - Survivances par substitutions des sacrifices d'enfants dans l'Afrique romaine, dans R.H.R, ;T. CVI.
  - Le culte des céres et les numides, R.H.TC.LI X,1928.
- **CARTON,**
  - les sépultures anciennes de Tunisie, l'anthropologie, 1893.
- **CHABOT (J. B.),**
  - Punica.
  - Croix de textes de palmyre. Paris, 1922.
- **CHABOT (L.),**
  - Punica dans J.A , 1917, II.
- **COOKE (G. A.),**
  - text., book of north- semitie inscription.

(D)

- **DECRET (F.) et FANTAR (M.),**
  - L'Afrique du Nord dans l'antiquité des origines aux V^ème siècle,Payot, Paris , 1981.
- **DERITON (E.), ET VANDIER (J.),**
  - Les peuples de L'orient méditerranée Egypt.4^eme,éd., augmentée, Paris,presse universitaire de France ,1962.
- **DUSSAUD (R.),**
  - (Astarté), Pontos et (Ba'al), C.A.R.I., 1947
  - Introduction à l'histoire des religions , Leroux , Paris 1914.
- **Diodore de Sicile, XX, 58.**

(E)

- **El- BEKRI(A.O.),**
  - description de l'Afrique septentrionale, traduit par M Guekim de slame , Litraini d'antique et d'orient, Paris 1965.

(F)

- **FAIDHERBE (J.),**
  - Nécropole Mégalithique de Mazela » dans B. A. H. 1867.
  - nécropole mégalithique de Mazela, Bull. de l'académie d'hippone, T. V, 1868.
  - recherches anthropologiques sur les tombeaux de Roknia, B. A.H. 1868.
- **FANTAR (M. H.),**
  - Introduction à la découverte archéologique de Carthage Archéologie Vivante Vol- N° 1 –2 1969.
- **FERJAOUI(A.),**
  - Recherche sur les relations entre l'orient phénicien et Carthage, éd. Beït Al- Hikma, Carthage 1992.
- **FEVRIER (J-G.),**
  - Bull Archéol, du comité , 1941-1942, I. III.,II.1917.
  - Molchomor dans RHR, t. CXLII,1953, Le Rite de substitution dans les textes de N'Gaous, J.A; Paris, 1962,

(G)

- **GAUCKLEUR (C.),**
  - Enquête sur les installations hydrauliques romaines en Tunisie, Tunis, 1897-1912.
- **GERMAIN(G.),**
  - le culte du bélier en Afrique du nord, hésperis 1948.
- **GHAKI (M.),**
  - Recherches sur les rapports entre les phénico- puniques et les libyco-numides, 5^{éme} siècle , 1er siècle av-Jc, thèses de III^{éme} Cycle université Part Léon, Sorbonne , Paris , 1979
- **GILLETTE ET LOUIS,**
  - Le febre,corpus des gravures et des peintures rupestres de la région de Constantine, éd.Arts et Métiers Graphiques,1967.et suiv.
- **GOBERT (Dr.),**
  - Essai sur la litholatrie revue africaine , 1948.
- **GSELL(St.),**
  - Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, OTTO zeller vorlag, oshabrük, 1972,

- Textes d'Hérodote imprimerie de l'université- Alger 1915.
- Textes d'Hérodote textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord, Alger, 1919.
- Inscriptions Latines de l'Algérie.
- Histoire ancienne de l'Afrique du nord ,T. 4, Paris , 1927.
- H.A.A.N., T.VI.

- **GUIAND ET SCHMIDT (J.) ,**
  - Mythes et mythologies, Histoire et dictionnaire, Larousse , Paris, 1,1996.
- **GUSTAVE , (M.)**
  - Les divinités libyques R.S.A.C. 1900.

(H)

- **HACHID(M.)**
  - Le Tassili des Najjer (Aux Sources de l'Afrique 50 siècles avant les Pyramides, Paris , Méditerranée, 1998.
- **HADDADOU (M.A.),**
  - Les berbères célèbres, éd. , Alger, 2003.
- **HENRI (G.),**
  - Un rite d'obtention de pluie (la fiancée d'anzar dans actes du deuxième congrès international d'études des cultures de la méditerranée occidentale, S. N. E. D., Alger, 1978.
- **HENRI LHOTE,**
  - Vers d'autres tassilis,éd. Arthaud,Paris ,1977.
  - Vers d'autres tassilis,éd. Arthaud,Paris ,1976.
- **HERODOTE,**
  - Textes relatifs à L 'histoire de L'Afrique du nord ,Par Stéphane Gsell, éd., Adolphe Jordan, Alger , T. 4.1915.
  - Hérodote L.I.V , 50.
  - Hérodote, IV, 127.
- **HVIBERG HANSEN (F.O.),**
  - La Déesse TNT, une étude sur la religion cannanéo-punique, 1 texte, Capenhagne, 1997.

(L)

- **LASSUS (J.),**
  - L'antiquité dans R. Afr., C.,1956.
- **LEGLAY (M.),**
  - Saturne Africain, T. Histoire , éd. de Bocard , Paris , 1966.
- **LEPELLY (C.),**
  - Déclin ou stabilité de L'agriculture ,**Ant Afr**.1,1967.
- **LETOURNEAUX(A.),**
  - sur les monuments Funéraires de l'Algérie orientale », archive für anth, 1868, **LOUIS LESCHI,** Algérie antique , Arts et métiers graphiques, Paris,1952 .
- **LUQUET(G. Ch.),**
  - L'art et la religion des hommes fossiles , Masson et Cie éd., Paris 1926.

(M)

- **Maxime de Tyr, VIII,7.**
- **M'HAMED HASSINE FANTAR,**
  - Carthage approche d'une civilisation , Tom,éd. Alif, Tunis, marge , 172.
- **MOHAMED FANTAR,**
  - Carthage la prestigieuse cité d'Ellisa , Imprimérie S.T.A.G, Tunis, 1970.
  - Carthage La cité punique, éd. Alif, La Méditerranée, Tunis,1995.
- **MONCEAU(P.),**
  - Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne, Leroux , Paris 1905.
- **MOSCATI (S.),**
  - L'Epopée des phéniciens ,Paris ,Fayard , 1971 .
- **MULLER ,**
  - Géographie Gracie Minores , éd.,1882,I.

(P)

- **PAUL GAUCKLEUR,**
  - Musée de cherchel,éd.,Ernest le rousé,Paris, 1895,
- **POISSANT (L.)**
  - Inscription de thugga. Il

- **PICARD (G -Ch.),**
  - Les religions de L'Afrique du nord, B.A.C., 1946-1949, et Rel. Afr. Ant, fig.14.
  - Les religions de L'Afrique antique ,Paris, 1954.
  - Vie et mort de Carthage ,Paris, 1970.
  - Civitas Mactaritana,Karthago,T.VIII,1957.
  - Castellum Dimmidi, éd. Boccard, paris 1975.

(R)

- **RAMBOUD (M.),**
  - L'art de la déformation historique dans les commentaires de césar , Paris, 1953.
- **ROBERT(M.),**
  - dans congrès préhistoriques de France, Prégueux 1905.

(S)

- **SALAH-EDDINE TLATLI**
  - La Carthage punique,éd.,librairie d'Antique et d'orient, Paris , 1978.

(V)

- **VERNET(R.) et MOHAMED NAFFE (B.),**
  - Dictionnaire archéologique de la Mauritanie, C. R. I. A. A., Université de Nouakchott, 2003
- **VUILLEMOT(G.),**
  - Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie , éd. Autin, 1965

فهرس الأشكال

فهرس مصادر الأشكال والصور

مصدر	الشكل
مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، غانم،2003	الأشكال رقم:1 ،
Camps (G.), - Berbers aux marges de l'histoire.	الأشكال:3 (أ)،17،16،5،6
ليونال بالوا: - الجزائر في ما قبل التاريخ ،ت.محمد الصغير غانم، 2005.	الشكل :11،10،8
رشيد الناضوري: - المغرب الكبير، 1996.	الشكل:11
Bertrandy (F .) et Sznyczr (M.), - Les Steles punique de constantine ,ed. de la réunion des musées, Paris ,1987.	الشكل: 13
Lefbrres (L.), - Corpus du graveurs et peintures repestres de la région de constantine, art et métiers graphique,Paris , 1967. ***MALIKA HACHID,*** - TASILI des ajjer , EDIF, Paris, 2000.	الشكل:15(أ)،(ب)
محمد الصغير غانم: – معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، 2003.	الشكل:18
M'hamed Hassine Fantar, - carthage Approche d'une civilisation.1998.	الأشكال: 22،19،
Haddadou (M.A.), - Les Berbres célébres ,Ed.Berti , Alger ,2003.	الأشكال: 20 (أ–ب–ج)، 25(أ)،26(أ)، 36،
Marcel bovis , - Algérie Antique , 1952.	الشكل : 21(أ)،29،31،32،33،

الشكل:21(ب)	***Andrés parrot,*** - Les Phéniciens, (L'expansion phénicienne,carthage) 1975.
الشكل:23 (أ-ب)	-Le Sanctuaire punique d'EL-Hofra a constantine, Planches .
الأشكال: 24، 26(ب)، 27،34 (أ-ب)،	**مفيد رائف العابد** **- الآثار الكلاسيكية، (1990-1996)**
الأشكال: 3،4،25(ب)،21(أ)،	- L'Algerie au temps des royaumes numides ,Paris,2000.
الشكل: 28	***Marcel leglay,*** - Saturne africain ,monuments, Paris , 1961.
الأشكال:29 (ب)،33	***Marcel Bovis ,*** - Algérie Antique , 1952.
الأشكال:35،30	**متحف شرشال (سيرتا)**

فهرس أبجدي لأسماء الأماكن، والأشخاص ثم الآلهة

أسماء الأماكن

–أ–

–ب–

ج

-د-

-هـ-

-و-

-ز-

-ح-

-خ-

-ط-

-ي-

-ك-

–ل–

–م–

–ن–

—س—

—ع—

—غ—

—ف—

—ص—

- ض -

- ق -

- ر -

- ش -

- شرق البحر المتوسط: 91 + 93.

- شرشال: 33 + 60 + 72 + 84 + 88 + 118 + 121 + 129.

- شمال شرق نوميديا: 131.

- شمال إفريقيا: 5 + 6 + 7 + 11 + 17 + 30 + 55 + 56 + 64 + 67 + 69 + 71 + 78 + 87 + 101 + 114 + 115 + 122 + 123 + 126 + 130.

- الشرق القديم: 65 + 54.

- شمال أسوان: 5.

- شمال المغرب الأقصى: 39.

- الشوشة: 34 + 40.

- شبه الجزيرة العربية: 54 + 88.

-ت-

- تيبازة: 24.

- تبسة: 45 + 48 + 81 + 101 + 113 + 114 + 128 + 135.

- تل العمارنة: 22.

- تونس: 5 + 11 + 18 + 22 + 24 + 32 + 60 + 65 + 69 + 72 + 81 + 91 + 114 + 126.

- تازورق: 55.

- قابس: 81 + 107.

- تيمقاد: 18.

- التيميلوس: 38 + 39 + 40.

- تافورالت: 48.

- تيديس: 88.

-ث-

- ثاميقادي: 126.

أسماء الأشخاص

—أ—

—ب—

—ج—

—د—

-ل-

-م-

-ق-

-ر-

-ش-

—ت—

—ث—

أسماء الآلهة

—أ—

-ز-

-ح-

-ك-

-م-

-ف-

-ر-

-ت-

الفهرس

الباب الأول

ملامح الطقوس الدينية والمعبودات ذات النشأة المحلية

الباب الثاني

ملامح الطقوس الدينية الأجنبية الواردة إلى المنطقة

- كتب صدرت للمؤلف نذكر منها:

التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، طبع بديوان المطبوعـــات الجامعيـــة، الجزائر، 1979، وأعيد طبعه للمرة الخامسة بدار الهدى سنة 2004.

- مدن ومواقع أثرية جزائرية ،طبع وزارة الثقافة، الجزائر، 1988.
- بسكرة والتخوم الأوراسية ، طبع بدار الشهاب ، باتنة، 1997.
- المملكة النوميدية والحضارة البونية ،مطبعة دار الأمة،الجزائر العاصمة، 1998.
- معالم التواجد الفينيقي- البوني في الجزائر ، مط. دار الهدى، 2003. نفذت الطبعة الأولى وأعيد طبعه 2004 .
- مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم،مط. دار الهدى 2004.
- شمال إفريقيا في ما قبل التاريخ (ترجمة)، مطبعة دار المعارف بسوسة –تونس سنة 2000.
- الجزائر في ما قبل التاريخ (ترجمة) .مطبعة دار الهدى، 2005.
- مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، مطبعة دار الهدى، 2005
- الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في بلاد المغرب القديم، تحت الطبع.
- المعالم الحضارية للشرق الجزائري فترة فجر التاريخ،تحت الطبع .
- المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم. تحت الطبع.
- المجتمع المغاربي القديم، تحت الإعداد.
- الفنون المغاربية القديمة، تحت الإعداد.

هذا إلى جانب ما يزيد على أربعين (40) مقالة متخصصة في تاريخ الجزائر القديم بصفة خاصة والمغرب القديم عامة. موّزعة على التاريخ القديم والتدرج الحضاري منذ فترة ما قبل التاريخ، ثم الآثار ونقوش ما قبل الفترة الرومانية كالليبية والفينيقية-البونية.

هذا الكتاب

لم يكن الجانب الفكري لدى الإنسان المغاربي القديم بمعزل عن الجوانب الماديّة الأخرى، فكلّما تطوّر في التدرج المادي في حياته إلاّ وتطوّر فكره نحو الأفضل مصاحباً لذلك التطور. وهكذا نرى الإنسان المغاربي القديم يبدأ في لمس التطوّر الأسطوري الذي يلعب فيه الخيال دوراً كبيراً دون مراعاة الواقعية، ليشخّص بذلك أرباباً وآلهة تساعده على التقرّب من الأرواح الخيّرة، التي تجلب له النفع المادي وتبعده عن الأرواح الشريرة التي تكدّر صفو حياته. ولم يكن الإنسان يؤمن بالمجرد الذي لا يستوعبه فكره حينذاك، بل كان يتقبّل الملموس النفعي.

إنّ تطوّر فكر الإنسان عبر توالي العصور الزمنية توّصل إلى أنّ الموت ليست هي خاتمة المطاف، بل هي نقطة الفصل بين مرحلتين تختلف إحداهما عن الأخرى، لكن التواصل يبقى مستمراً بين الدارين (الدنيا والآخرة)، وبناء عليه شرع الإنسان في تزويد أمواته بما يحتاجونه في حياتهم الأخرى، كما هداه تفكيره إلى تزويدهم بالهدايا الجنائزية التي تساعدهم في حياتهم الأخرى، وذلك بوضعها صحبة الجثة في شتى أنواع القبور البدائية والمتطورة «التيميلوسية» منها و«الدولمينية»، وكذا الغرف الجنائزية داخل الأضرحة، وذلك ما عرف ببقايا الهدايا الجنائزية التي يعثر عليها المنقبّون الاثريّون من حين لآخر، تلك المدافن التي عثر عليها في شتى أنحاء المعمورة. كما توضع أيضًا للأبطال ورجال الدين والمثقفين والسيّاسيين، التماثيل والبناءات التي تخلّد ذكراهم.

وقد تصبح تلك الأوابد التذكاريّة محلّ عبادة بعد وفاة أصحابها عند الأقوام القديمة، ومقابل ذلك، فإنّ مكانة صاحب الطريقة في الزوايا أثناء الفترة الإسلامية، لا سيما بعد وفاته بالنسبة لروّادها المتشبعين بمنهجه في الديانة الإسلامية ينظر إليه بنفس المنظار السابق، غير أنّ الفرق بين التجمّع حول الأضرح في الديانة الوثنية والزوايا، هو أنّ الأولى قد تكون تأليها للأموات، بينما ا منهج يتبّع من قبل الروّاد قصد محاولة الوصول إلى اكتشاف أسرار هذا الكو وذلك عن طريق تلاوة القرآن وقراءة الأحاديث النبوية، ثم التعمق ف بأصحابه للتقرب من خالقهم بغية نيل رضاه.



ردمك 5 682 60 9961